الكتاب الأول

الصحيفة الأولى

في

تراجم ولاة كردستان الذين رفعوا لواء السلطنة عالياً فأدخلهم المؤرخون في عداد السلاطين

وتشتمل هذه الصحيفة على
خمسة فصول

الفصل الأول

في تراجم ولاة ديار بكر والجزيرة

١- أحمد بن مروان :

لا بد أن تنعكس على مرآة ضمائر العقلاء الصافية الصقيلة صور المفاهيم التالية، وهي أن أول من نهض من الأمة الكردية في أنحاء دياربكر والجزيرة، بادعاء السلطنة، وتمكن من الحصول على صرح المجد والسلطنة، هو أحمد بن مروان[١] فقد تدرج في مهماته نحو الرقي، وتبسط في نفوذه على عهد (القادر

(١) الصحيح أن هذه الدولة قامت على أنقاض الحكومة الدوستكية التي أسسها دوستك - دوشتيك أحد أمراء عشيرة (حميدي- حمودي) الكردية حوالي سنة ٣٢١هـ-٩٣١م ووسعها بعده ولده الأمير أبو عبدالله حسين الملقب بلقب الباز أبي شجاع المولود سنة ٣٢٤هـ٩٣٥م في آمد= دياربكر حين كان أبوه مغتاظاً من عشيرته. ثم لما أينع (الأمير أبو عبدالله حسين الباز) هذا، وذاع صيت شهامته، وضربت بجوده وكرمه الأمثال إلى جانب إقدامه وشجاعته. أحبه الناس في تلك الأطراف حباً جماً، وتألبوا عليه، فهوى الملك والسلطنة ومد يد الاستيلاء إلى أنحاء الجزيرة وسعرد وأسس فيها عام ٣٤٥هـ -٤٦-٩٥٥م حكومته. ولما توفي أبوه سنة ٣٤٨هـ-٩٥٨م، استخلفه على ملكه، فأخذ يتدرج في توسيع بلاده، فاحتل ملاذ گرد وماكو، وبنى مدينة شاباز التي أسماها الملك العادل فيما بعد باسم (عادل جواز) واحتل في عامي ٣٥٥-٣٥٦= ٩٦٣-٩٦٤م أرجيش وأنحاءها، كما احتل ديار بكر = آمد وميافارقين ورها = أورفه وأخلاط ووان وبدليس ومدناً أخرى. وأذعن له أمراء حصن كيف والجزيرة وبوطان وسروج ونصيبين. وعند ذلك اتخذ دياربكر- آمد عاصمة لملكه، وعظم شأنه. وقد منحه الخليفة العباسي القادر بالله لقب(شاه باز أبي شجاع). وكانت له سكة خاصة ضربها عام ٣٦٠هـ-٩٦٨م ونقش عليها لقبه، وكان يتلى اسمه في الخطب على المنابر مقروناً باسم الخليفة. ولما نشبت الحرب بين عضد الدولة البويهي وبين أبي تغلب الحمداني، آزر الباز عضد الدولة بكل قواه. ثم لما توفي عضد الدولة طمع الباز في الموصل، فعبأ سنة ٣٧٢هـ-٩٨٢م في سنجار جيشاً أراد أن يغزوها به، فتوترت العلاقة بينه وبين صمصام الدولة بن عضد الدولة البويهي، فسير الأخير إليه جيشاً بقيادة أبي سعيد بهرام بن أردشير فحدثت بينهما سنة ٣٧٣هـ-٩٨٣م حرب ضروس انتصر فيها (الباز) في (باجلايا). غير أن صمصام الدولة لم يدعه وشأنه، بل جرد عليه جيشاً آخر جراراً بقيادة أبي القاسم سعيد،

فالتقى الفريقان قرب نهر الخابور، وتطاحنا، إلا أن هذا الجيش لم يكن بأسعد حظاً من صاحبه، إذ سرعان ما اندحر، ولجأ إلى الهزيمة، وتبع الباز فلوله حتى الموصل وقام بمحاصرتها لكن أعيان المدينة تفاهموا معه، فأمهلهم ثلاثة أشهر، وترك قسماً من جيشه بقيادة أبي علي حاكم فنيك محاصراً، ورجع بنفسه إلى دياربكر - آمد. وأخيراً احتل الموصل، وأنقذها من نير الاستعمار الديلمي، ونظم شؤونها، ثم عزم على غزو بغداد وتخليصها من الديلميين أيضاً. فلما وصل هذا النبأ مسامع صمصام الدولة ساوره الخوف والقلق، فحشد جيشاً كبيراً سيره إلى قتاله بقيادة زياد بن شهراكويه. فالتحم الجيشان قرب تكريت، فانخذل أبو شجاع، وقفل راجعاً، ولم يقف في الموصل بل سار إلى دياربكر رأساً، وأخيراً عقد الطرفان الصلح. ثم لما حل عام ٣٧٧هـ-٩٨٧م حشد الباز أبو شجاع جيشاً عرمرماً اتجه به نحو الموصل. وكان شرف الدولة حاكم بغداد قد عين آنئذ أبا نصر خواشاذه حاكماً عليها، وسيرها بجيش عظيم لمقاومته، غير أن (الباز) أحرج موقفه، واضطره إلى الانسحاب، وطلب النجدة، فلم يكن منه إلا أن استنجد بعشيرتي بني عقيل وبني نمير العربيتين. فأرسل أبو شجاع أخاه (طليعة الدولة) على رأس جيش للتعرض لقواتهما، فقتل أخوه واندحر جيشه. ثم لما حل عام(٣٨٠هـ-٩٠٠م) وعزم على فتح الموصل، اتفق أن عثر جواده فكبا به، ومات على أثره في اليوم الثاني من جمادى الآخرة. يقال:

إن أحداً من بني عقيل شاهده بين القتلى، وفيه رمق من الحياة فحز رأسه وحمله إلى (الحمدانيين) فذهبوا به إلى (بغداد) وعلقوا ماتبقى من جثته على باب الإمارة في الموصل. هذا وورث الملك بعده ابن أخيه -أو ابن أخته- أبو علي حسن بن مروان وقد كان على عهد حكمه حاكماً على (فنيك) وقائداً لجيشه.

ثم خلفه خير خلافة، إذ جمع شتات جيشه المبدد، وسار به إلى حصن كيفا حيث عقيلة الشاه باز، فتمكن من إقناعها والدخول في القلعة وأخذ من ثمة يعد العدة، ويؤلف الجيوش ليسترد بلاد الباز. وفي هذه الآونة، كان قد سار كل من أبي طاهر إبراهيم وأبي عبدالله حسين الحمدانيين للاستيلاء على بلاد الباز المسيبة الأمر فبرز لهما أبو علي ونازلهما وقاتلهما قتالاً عنيفاً وأسر أبا عبدالله ثم أخلى سبيله شهامة منه وبعد هذا النصر توجه إلى دياربكر فأسس فيها حكومته المشهورة باسم(الحكومة المروانية)، وعامل الشعب بالعدل والمروءة، وعني بتعمير بلاده، وتوسيع مملكته فأبلغ حدودها من الشمال الشرقي (وان) وأخضع من الجبهة الشرقية الموصل وما جاورها فنصب عليها حاكماً من قبله، وسك العملة باسمه، وأخيراً اغتالته يد أثيمة سنة ٣٨٧هـ-٩٩٧م، حيث تولى قتله رجل يدعى (ابن دمنة) بإشارة من عبدالبر شيخ آمد واتفاق من الأهالي ص٤٧٧ ح١/ دائرة المعارف. فتولى الملك بعده أخوه أبو سعيد المنصور ممهد الدولة- وكان قد عاد بعد حدوث كارثة الباز أبي شجاع إلى ميافارقين- ولما تقلد الحكم واستقل بالبلاد، عني بأمور الدولة، وسك النقود، ولم يزل يدير شؤون بلاده بحكمة ودقة حتى سنة ٤٠٢هـ=١٠١١م حيث إضافة (شروه بن مامه) صاحب قلعة(آتاق = هتاج = ليجه) وكان قد حاك ضده مؤامرة فاغتيل عندما وطئت قدماه أرض القلعة. ثم اعتلى منصة الحكم مكانه أخوه الملك العادل ناصر الدولة أحمد الذي نحن بصدد البحث عنه.

بالله العباسي)[٢] حتى إن القادر منحه لقب نصر الدولة[٣]. ولقد عاش زهاء ثمانين سنة، قضى اثنين وخمسين سنة منها سلطاناً على بلاد دياربكر والجزيرة متمتعاً بالحكم استقلالاً[٤] وأوفد خلال هذه المدة إلى السلطان طغرل بگ السلجوقي[٥] من يعرض عليه خلوص نيته وصفاء طويته، ومن جملة الهدايا التي قدمها إليه قطعة ياقوت كان قد اشتراها من سلاطين الديالمة[٦] بمبلغ جسيم[٧]. وكان فخر الدولة بن جهير[٨] -الذي كان آخر وزير في الخلافة العباسية- وأبو القاسم المغربي[٩] ممن

---

(٢) هو القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله جعفر الخليفة الخامس والعشرون من خلفاء العباسيين. وكان خليفة طوال مدة سلطنة (السلطان محمود الغزنوي). توفي سنة ٤٢٢هـ [محمد علي عوني].

(٣) كان ذلك عام(٤٠٨هـ-١٠١٧م).

(٤) لم يكن سلطان حكمه مظللا على هاتين المملكتين فحسب، بل بسط جناح السلطنة على بلاد أخرى وخاض غمار حروب عديدة، وعني ببلاده عناية تامة، تقدم بها نحو الحضارة، وعمرها بالمعارف والفنون حتى قصده العلماء والأدباء والشعراء من كل حدب وصوب بمؤلفاتهم وقد توزر له ابو نصر احمد بن يوسف السليكى المنازى الكاتب المعروف (ابن خلكان ٥٩).

(٥) هو (طغرل بيك بن ميكائيل بن سلجوق) مؤسس الدولة السلجوقية في إيران، حيث اتخذ أولاً مدينة(الري) عاصمة له.

(٦) سلاطين الديالمة، هم ملوك (آل بويه) الذين أسسوا سلطنة إسلامية كبرى في عهد الخلافة العباسية في (ايران) واتخذوا(اصفهان) عاصمة لدولتهم العظيمة [محمد علي عوني].

(٧) كانت هذه القطعة تسمى (جبل ياقوت) اشتراها من (الملك عزيز الدولة البويهي) الذي كان محتمياً به بمئة ألف دينار، وأهداها إلى (السلطان طغرل) بمناسبة سفره من (آذربيجان) إلى (ملاذگرد) المجاورة لبلاده. أما تفاهمه مع الحكومات المجاورة له، ومبادلته السفراء معها، فقد كان قبل ذلك في عام ٤١٠هـ-١٠١٩م، حيث أرسل سفراء إلى الآستانة ومصر وبغداد. كما أنه في الوقت نفسه عين ابنه(الأمير سليمان)ولي عهد له، وولاه حكم الجزيرة وبوطان. واتخذ ميافارقين عاصمة لملكه، وأخذ يتردد أحياناً إلى آمد ووان وأرجيش، ويقيم مايشاء من الوقت فيهما.

(٨) هو (فخر الدولة أبو نصر الموصلي التغلبي) المشهور بابن جهير، ولد بالموصل سنة ٣٩٨هـ وتولى الوزارة للعباسيين في (بغداد) ولحكومة آل مروان الكردية بدياربكر وميافارقين.

(٩) أبو القاسم المغربي: هو وزير الملك شرف الدولة أحد ملوك آل بويه، توفي سنة ٤١٨هـ عند أبي نصر ابن مروان، صاحب ميافارقين [محمد علي عوني]. [ان استيزاره أبا القاسم هذا، وحمايته له أديا إلى أن تتوتر العلاقات بينه وبين خليفة بغداد. وما زال هذا التوتر يزداد يوماً فيوماً حتى

وزروا له، ثم جاءه الأجل المحتوم سنة ثلاث وخمسين وأربع مئة للهجرة(١٠٦١م). ومما يروى عنه أنه كان لديه ثلاث مئة وست وستون سرية ظريفة فاتنة، يعاشر في كل ليلة واحدة منهن، بحيث لا ترجع إليها النوبة إلا بعد سنة[١٠].

٢- نصر بن نصر الدولة أحمد[١١]

تقلد زمام الحكم بعد وفاة أبيه، فتمكن بفضل اهتمام ابن جهير الوزير ودهائه من تولي أمور البلاد إحدى وعشرين سنة كاملة. ثم نشبت بينه وبين أخيه سعيد حروب عنيفة، خبت نارها بقناعته بكرسي الحكم في (ميافارقين) والتنازل[١٢] لأخيه (سعيد) عن حكومة آمد - دياربكر[١٣] مكان أبيه. وكانت وفاته في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة للهجرة(١٠٧٩م)[١٤].

٣- سعيد بن نصر الدولة أحمد

قضى حيناً من دهره والياً على آمد = دياربكر، بث خلاله العدل والرحمة، وأشفق على الفقراء والضعفاء فتمتع الشعب والجيش على عهده بالرفاه، ورتعا في مهاد الأمان. وتوفي سنة خمس وستين وأربع مئة للهجرة (١٠٧٣م).

لقي أبو القاسم حتفه فحينئذ تصالحا].

(١٠) هذه مبالغة مختلقة من أعدائه.

(١١) يسميه مؤلف وفيات الأعيان أبا القاسم نظام الدين نصر، ومؤلف تأريخ الدول والإمارات الكردية (قاسم أبا ناصر).

(١٢) الصحيح هو أنه حافظ على ملكه، ودافع عن بلاده، ودحر أخاه الأمير سعيداً، لكنه أشفق عليه أخيراً فأقطعه آمد- دياربكر شهامة منه. ثم ما زال يعني بتوسيع مملكته حتى أضاف إليها سنة ٤٥٧هـ ١٠٦٥م حران وسويداء- سورك، وأخيراً فاز نظام الدولة.

(١٣) آمد: اسم المدينة المشهورة الآن بدياربكر. وهي إحدى مدن الجزيرة من الجهة الشمالية. قال في معجم البلدان: (آمد، قلعة حصينة ومدينة رصينة، محاطة بسور قديم متين، من أكبر مدن الجزيرة كلها وأعظمها شاناً. [محمد على عوني].

(١٤) كفاه فخراً ان(رودكي) الشاعر النابغ مدحه بقوله:

حاتم طائـــى توئى انـدر سخـا رســتم داســـتان توئى اندر نبرد

نى كه حاتم نيست باجود تو راد نى كه رستم نيست در جنگ تو مرد

[إنك أنت الحاتم الطائي في الجود، وأنت رستم الروايات في البطولة..

٤- منصور بن نصر بن نصر الدولة أحمد

قام مقام أبيه في الحكم. ثم حدثت بينه وبين الوزير فخر الدولة بن جهير حرب عنيفة[١٥] أخفق فيها، ولم يمض كبير وقت حتى وقع أسيراً بيد جگرمش- جگرمژ[١٦] صاحب جيش الموصل، فرهنه في بيت يهودي في الجزيرة مغلولاً مصفداً. وقد توفي في محرم الحرام لسنة تسع وثمانين وأربع مئة للهجرة (١٠٩٦م). هذا وكانت مدة سلطنة الرجال الأربعة المنتمين إلى هذه الأسرة زهاء إحدى وتسعين سنة، وبه دالت دولتهم وانقرضت سلطنتهم.

لالا، فليس الحاتم في الجود معادلا لك، لا لا، وليس رستم في حربك رجلا]

(١٥) وسبب ذلك هو أن منصور لما استولى على جميع بلاد أبيه وعمه واستقل بالحكم أمر بقراءة اسمه مع اسم خليفة مصر الفاطمي على المنابر فاستاء خليفة بغداد العباسي، وثارت ثائرته: الأمر الذي أدى بالسطان ملك شاه السلجوقي أن ينوط آمد - دياربكر بالوزير فخر الدولة بن جهير وزير الملك العادل ناصر الدولة أحمد جد منصور فكفر فخر الدولة بنعمة الملوك الدوستكية- المروانية وسار إلى آمد = دياربكر بقوة كبيرة. فلما رأى منصور ألا قبل له بهذا الجيش الجسيم استنجد بأمراء أطرافه. وعلى الرغم من أنهم أنجدوه، وأمدوه بالإمدادات الممكنة، فإنه لم يقاوم كبير وقت، بل اندحر، وانسحب بجيشه إلى الجزيرة حيث كانت خضعت له مع بوطان ، واحتلها فخر الدولة بعد حصار طويل (٤٧٨هـ-١٠٨٥م) ثم أغار على الجزيرة وضرب على المدينة الحصار، وكان في المدينة أسرة عريقة غنية تعرف بأسرة بني وهبان لها باب خاص في القلعة. فخانه بعض رجال هذه الأسرة وفتح الباب لجيش ابن جهير، فاقتحموا القلعة، واحتلوا المدينة، وأسروا منصوراً ومن معه. وهكذا انهارت الدولة الدوستكية- المروانية وانقرضت أسرتهم بهلاك منصور.

(١٦) هو شمس الدولة المعروف بلقب جگرمژ= مصاص الكبد، من أسرة بني وهبان الكردية في الجزيرة اتخذه أمراء الحكومة الدوستكية- المروانية غلاماً. ثم انخرط في سلك جيشهم، فنشأ وتدرج في التقدم. وأخيراً شق عصا الطاعة على الحكومة الدوستكية- المروانية، وانضم إلى فخر الدولة بن جهير، وقام معه بمحاربة سادته. فولاه حكم الجزيرة. وأخيراً توسع في نفوذه، فاستولى على الموصل أيضاً، وصار حاكماً يدير شؤونها.

الفصل الثاني

في سيرة حكام دينور وشهرزول = شهرزور المعروفين بالأسرة الحسنويهية[1]

١- حسنويه بن حسين

غير خاف على ضمائر المستخبرين عن أحوال الأوائل والأواخر، وغير مستتر من خواطر حفظة تراجم الأكابر والأصاغر المنيرة، أن حسنويه بن حسين[2] كان من

(١) هذه التعليقة مقتبسة من كتابي حسين حزني و محمد أمين زكي ولم أهتد إلى المصدر المستقاة منه، فإنني لم أجد هذه الأخبار لا في كتاب (تجارب الأمم)ولا في (تأريخ الطبري) ولا في (الكامل) لابن الأثير فلعل السيد حسين حزني اعتمد على كتاب مخطوط فارسي وجده ثم اعتمد المرحوم محمد أمين زكي عليه فنقل عنه الخبر، وقد أشرت أخيرا إلى ذلك في كتابي(تأريخ الحسنويه)(العياريه)ولقد سمى الصدفي هذه الحكومة بـ الدولة الحسينية نسبة إلى الأمير حسين والد حسنويه- حسن واي.

(٢) يعني الأمير حسين البرزيكاني من رؤساء العشائر في منطقة شهرزور. كان قد اشتهر بكرمه وسخائه وبطولته. فاجتمع حوله خلق كثير من الاكراد، فأعلن عن نفسه أميراً عليهم سنة (٣٣٠هـ -٩٤١م) وأخذ يتبسط في نفوذه، ويوسع ملكه، فهابه الخليفة العباسي المتقي باللّه إبراهيم، فجرد جيشاً كبيراً سيره إليه بقيادة وزيره. غير أنه أخفق، ورجع بخفي حنين، وغنم الأمير حسين أثقالاً وأحمالاً كثيرة. ثم أزمع علي توسيع بلاده. فاحتل القلاع والمعاقل المجاورة لمملكته. وكان في هذه الآونة أخواه (الصواب أخوا زوجته وخالا ابنه حسنويه) ونداد وغانم اللذان كانا يترأسان عشائر العيشانية قد أخضعا لنفوذهما نواحي دينور وهمدان ونهاوند وصامغان وبضعة بلدان أخرى من إقليم آذربيجان. ولما أينع الأمير حسن واي الذي نحن بصدد البحث عنه ولاه أبوه القيادة وإدارة البلاد. فلما توفي أبوه سنة (٣٤٨هـ-٩٥٩م) استقل بالحكم على البلاد الخاضعة له، كما أنه أضاف بلاد عميه [الصواب خاليه] ونداد الذي توفي سنة (٣٤٣هـ- ٩٦٠م) وغانم الذي توفي عام (٣٥٠هـ-٩٦١م) إلى مملكته المشتملة لمناطق أهواز، خوزستان، أسعد آباد، شهرزور وغيرها ولقد طمع معز الدولة البويهي في ملكه، فأنفذ الأمر إلى قائده ينال كوش أن يحشد جيشاً من بني تغلب الحمدانيين و يغير به عليه. فلما سمع الأمير حسنويه نبأ هجومه برز لمقابلته، فاشتبكا في غربي أربل- هەولير وتطاحنا، فأخفق ينال كوش ولاذ بالفرار، وعاد حسنويه

معاصري ركن الدولة بن بويه الديلمي[٣] وفي عهده علا شأنه وضاء نجمه. لكنه بالرغم من هذا لم يقدر الوضع، بل جحد بنعمته وشق عصا الطاعة عليه، فبعثه ذلك على أن يسير إليه سنة تسع وخمسين وثلاث مئة للهجرة (٩٦٩م) وزيره ابن العميد[٤] بجيش عرمرم[٥]. لكن حسنويه بادر إلى تدارك الأمر، فوسط شفعاء، وتمكن بذلك من حل القضية وقلب الحرب صلحاً وإرجاع جيشه القهقرى[٦].

ظافراً غانماً. فلما طرق هذا النبأ المؤلم مسامع معز الدولة سير جيشاً كبيراً من بغداد إلى دينور فنهبها وأضرم في قراها النار.فلما أدرك الأمير حسنويه ذلك جرد جيشاً يتصدى لهم في الطريق. غير أنهم كانوا سعداء فتخلصوا من الاشتباك بجيشه. إذ كان ركن الدولة البويهي قد خاض غمار حرب ضروس ضد الأكراد في گرگان = جرجان وكان على وشك الإخفاق. فاستنجد بأخيه معزالدولة الأمر الذي أدى به إلى أن يعقد مع الأمير حسنويه الصلح على أن يتلى اسمه في الخطبة. لكن الأمير حسنويه رفض هذا الشرط، وأزمع علي استئناف القتال. بيد أن معز الدولة أوفد اليه عدداً من الأمراء والأعيان يستميلونه، وقد حملوا إليه خمسين ألف دينار. فنزل عند رغبتهم، وعقد الصلح معه. وهكذا تحسنت العلاقات بين الحكومتين البرزينية والبويهية. واشترك الأمير حسنويه معهم في الحرب ضد عدوهم. وفي سنة (٣٥٦هـ-٩٦٣م) اندلعت نيران الحرب بين عز الدولة بختيار بن معز الدولة وبين الأمير حسنويه. غير أن عز الدولة أخفق واندحر شر اندحار. وازداد الأمير حسنويه شوكة ونفوذاً. ولم يحل عام (٣٥٧هـ-٩٦٧م) إلا تصالحاً، فأرسل إليه عز الدولة بختيار هدايا كثيرة، كما استنجد به ضد تغلب الحمداني لكسر شوكته وإضعاف نفوذه، على أن يسمح له ببسط نفوذه وتوسيع حدود بلاده حتى الزاب الكبير. فقام الأمير حسنويه بمحاربة أبي تغلب فغلب عليه، وطارده حتى الرقة. ثم رجع ظافراً منتصراً إلى دينور عبر أربل وشهرزور غير أن الاتفاقية المبرمة بين معز الدولة وبين الأمير حسنويه كان قد سبب استياء ركن الدولة البويهي، فاستشاط غيظاً وغضباً، فسير وزيره ابن العميد أبا الفضل محمداً إلى غزو دينور وشهرزور، ونزعهما من حسنويه، وجرى بين الفريقين ماسيقصه المؤلف علينا.

(٣) هو ركن الدولة حسن بن بويه ثاني ملوك آل بويه، تولى السلطنة بعد أخيه عمادالدين «كذا» علي بن بويه سنة ٦٣٨هـ «كذا» بإصفهان.[كتبنا (كذا) إلى الخطأين، فالأخوة البويهيون الثلاثة تقاسموا البلاد بينهم أحياء. هذا وأما التأريخ فهو ٣٦٨هـ].

(٤) ابن العميد: هو أبو الفضل محمد بن الحسين وزير ركن الدولة بويه، تولى الوزارة سنة ٣٢٨هـ. وكان من أنبغ الكتاب والمنشئين، قال الثعالبي: إن فن الإنشاء ابتدأ بعبد الحميد الكاتب وانتهى بابن العميد أي الوزير، وكان أبوه كاتب نوح بن سامان والي خراسان [محمد علي عوني].

(٥) يظهر مما أدلى به كل من ابن مسكويه، وابن الأثير انه لم يحمل ركن الدولة على غزو حسنويه شيء إلا معاملته سهلان بن مسافر الديلمي بقسوة وفظاعة.

(٦) يقول المؤرخان الكرديان السيد محمد أمين زكي بك، والسيد حسين حزني أن ابن العميد حين

صورة الكرسي

(١)

(كرسي من المرمر الأبيض المائل للصفرة كان يجلس عليه الأمير بدر بن حسنويه ذو أضلاع ستة مكتوب حولها (عز ونصر) بالخط الكوفى، وقد انتقل هذا الكرسي إلى دار الآثار العراقية هدية من علي صائب الخضيري في المتحف العباسي برقم ٤١١٨٠ ومنا جزيل الشكر للسيدة مهاب درويش لطفي الكركوكي المحتد التي كتبت عن هذا الكرسي مقالا آثاريا عام ١٩٦٠ عندما أهدي الكرسي للآثار.

سار إليه لم يكد يبلغ همدان حتى فاجأته المنية، فتولي القيادة مكانه ابنه أبو الفتح الذي كان يرغب في الرجوع إلى الري لتوطيد مركزه ، أكثر من أن يخوض غمار الحرب. لذلك رأى من المصلحة، مصالحة الأمير حسنويه على أن يسترجع منه خسائر الحرب، فعدّ حسنويه هذه المعاملة نصراً عظيماً. فأرسل إليه خمسين ألف دينار، وما يعادل ثمنه فصاعداً من التحف والهدايا.

صورة الجسر

(٢)

الجسر الذي أمر بتشييده الأمير بدر حسنويه في سنوات ٣٨٩هـ – ١٠٠٩م وقد كتب على إحدى القواعد [بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا ما أمر ببنائه الأمير الأجل أبو النجم بدر بن حسنويه بن الحسين أطال اللّه بقاءه في سنة تسع وثمانين وثلاث مئة، وفرغ منه في سنة تسعة وتسعين وثلاث مئة، والصلاة على رسول اللّه وآله كلهم...] طول الجسر ٢١٣ متراً وعلوه ٢٠ متراً وقد شيد على ٢٠ أسطوانة نقلاً عن كتاب كرد لمؤلفه رشيد ياسمي.

هذا وقد قيل إنه كان يملك أموالاً طائلة وثروة واسعة، فكان ينفق منها في كل عام مبلغاً عظيماً، تبرعاً وتصدقاً في سبيل اللّه. وتوفي في يوم السبت الثالث من شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وثلاث مئة للهجرة (٩٧٩م)[٧].

٢- بدر بن حسنويه

تولى الحكم بعد وفاة أبيه[٨] ثم تدرج سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة(٩٩٨م) في الترقي وبسط النفوذ، فعلا شأنه، حتى لقب من ديوان الخلافة في بغداد بلقب ناصر الدولة. وقد كان يخضع لنفوذه من دينور إلى أهواز[٩] وخوزستان[١٠] وبروجرد[١١]

---

(٧) كانت وفاته في مدينة سرماج ذات القلعة الشهيرة تلك المدينة التى شيدها المترجم له، بنفسه. وهي تعد من أجل آثاره.

(٨) سير أبوالنجم ناصر الدولة بدر- صاحب الترجمة - في السنة نفسها جيوشاً إلى غربي إربل = فنزع من الديلم قلاع عُدة ومعاقل.ولما كان عضد الدولة البويهي من الناقمين على حسنويه، لموازرته آخاه فخر الدولة ضده، ولمده يد المساعدة إلى عمه عز الدولة بختيار أزمع أن يقضي علي حكومتهم وأخذ يتأهب لذلك وراح يجمع له مناصرين: فراسل في هذا الشأن فخر الدولة وآخرين. ولما كانت العلاقات متوترة بين أولاد الأمير حسنويه أعني بهم أبا العلاء وعبدالرزاق وأبا نجم بدر وعاصم وأبا عدنان وبختيار وعبدالملك وأدت بهم الكدورة الداخلية إلى أن يحالف بعضهم فخر الدولة ويخالفه بعضهم فارق بختيار أخواته. وراح يقيم في قلعة سرماج، وطفق يراسل منها عضد الدولة ويعده بتسليم مقاليد القلعة إليه، فاستفاد عضد الدولة من هذا الخلاف، فعبأ جيشاً كبيراً سيره إلى بلاد الجيل، فدخل همدان من دون أن تعرقله عقبة، وانضم إليه قسم من امراء فخر الدولة ورؤساء برزيكانى ثم واصل زحفه حتى احتل نهاوند وسرماج، وغنم غنيمة واسعة. فما كان من أولاد حسنويه إلا أن عرضوا طاعتهم عليه وجاءوا إلي المعسكر. ولم يكن منه إلا أن أمر بمراقبة أعمالهم وحركاتهم، وأخيراً أودعهم السجن مع بعض الأمراء الأكراد عدا أبي النجم بدر. فقد دعاه إليه واكرمه وخلع عليه الخلع وقلده سيفاً ذهبياً ومنحه حصاناً ذهبي السرج، وناط به رئاسة أكراد برزيكان كما أنعم على أخويه عاصم وعبدالملك بخلعة. هذا ثم تبسط أبو النجم بدر في توسيع نفوذه وخاض غمار حروب عديدة في سبيل الذود عن بلاده، وقام بأعمال خيرية ومشاريع مهمة أخرى.

(٩) أهواز: مدينة بجنوب ايران من الجهة الغربية، كانت فيما قبل مركز مقاطعة خوزستان وبجوارها أطلال مدينة سوسة عاصمة الدولة الساسانية.

(١٠) خوزستان أو عربستان مقاطعة بمنتهى الجنوب الغربي من إيران مركزها الآن شوستر وكان سابقاً الأهواز التي اسمها القديم سوسيانه.

وأسدآباد[١٢] ونهاوند[١٣]، وما فيها من قلاع وجبال وصحارى. وقد شن سنة خمس وأربع مئة للهجرة (١٠١٤م) غارة عنيفة على قلعة كوسجد[١٤]، فقام بضرب الخناق على حسين بن منصور[١٥]، بيد أنه داهمهم الشتاء القارس، فكلما اقترح عليه جيشه فك الحصار رفض، حتى وهنت عزيمته وقواه فاهتبلت طائفة من الجوزقان[١٦] الفرصة في هذه الآونة فحملوا عليه، فلاذ بأذيال الفرار[١٧].

---

(١١) بروجرد: بلدة واقعة على مسافة (١٨) فرسخاً من همدان ببلاد إيران مشهورة بفواكهها الكثيرة.

(١٢) أسد آباد: مقاطعة صغيرة بين همدان ولرستان واسم لمركز هذه المقاطعة.

(١٣) نهاوند: مدينة قديمة في عراق العجم على مسافة (٦٠) كيلو متراً بجنوبي همدان، يبلغ تعداد سكانها (٥٠٠٠) نسمة الآن، وكانت مدينة كبيرة بصدر الإسلام [محمد علي عوني] .

(١٤) يقول المستشرق الروسي (مينورسكي) في أطروحته «گوران»: إذا كانت قلعة كوسجد هذه يعني بها (كوش خد) الواقعة على ضفاف نهر سفيد رود الذي يصب في بحر قزوين فلابد لنا من الحكم بأن بدراً وسع ساحة الحرب كثيراً. أما اذا كان اسم سفيد رود هذا محرفاً عن سيروان فلنا أن نقول إن المعني بكوسجد هذه هي قلعة كوسج القريبة من قرية «كوسه ى هجيج» الواقعة في هاورامان [أعتقد أن الاسم مخفف من كوه سكادژ (سقز) وأن سپيدرود يعني به سيمينه رود].

(١٥) هكذا في الأصل الفارسي، ولكن ضبطه كل من السيد محمد أمين زكي بك والمستشرق مينورسكي والسيد حسين حزني اعتماداً علي ماجاء في الكامل لابن الأثير بلفظ حسين بن مسعود، وضبطوا الحادثة على خلاف ما جاء في الطبعة الفارسية خطأً، فقد قالوا: «إن بدراً حاصر القلعة، وضرب الخناق على حسين بن مسعود فيها...إلخ»في مجمل التاريخ ورد الأسم «خوشين» مسعود.

(١٦) جورقان أو جوزقان: جيل من الأكراد يسكنون أطراف حلوان. ينسب إليهم أبو عبدالله الحسين الجوزقاني واسم قرية من قرى همدان كما نص على ذلك في المعجم [محمد علي عوني] [يظهر مما أورده صاحب قاموس الأعلام التركي، ان ورود هذه اللفظة بالراء «جورقان» على أن تكون معرب گورگان ويعني بها گوران أحد فروع الشعب الكردي الأربعة- كما ظنه بعض المستشرقين - غير صحيح].

(١٧) يؤيد هذا الرأي السيد حسين حزني فيقول: إنه لاذ بالهرب ولكن الأجل المحتوم لم يمهله، فمات في العام نفسه...» أمَّا السيد محمد أمين زكي بك فيقول: «إنه نمى إليه مرتين أن بعض أفراد جيشه قرر قتله، فلم يبال بذلك فحمل عليه أخيراً رجال من عشيرة جوزكان -جوزقان الكردية - فقتلوه عندما كان جالساً أمام باب المعسكر فوق ربوة. وإنه لما خرج الأمير حسين بن مسعود من القلعة ووقع نظره على جثته الهامدة، أمر بحملها وتكفينها وبعثها إلى النجف ليدفن فيها.

٣- هلال بن بدر

لم يكن الجو بينه وبين أبيه بدر حال حياته صافياً[١٨]، وقد حدثت بينهما سنة خمس وأربع مئة للهجرة (١٠١٤م) مخاصمات، ودارت بينهما رحى حروب عنيفة، وأخيراً وقع هلال في أسر فخرالملك[١٩] وزير بغداد الذي حمل عليه حملات عنيفة، فأودعه رهن السجن[٢٠]. فلما أدرك جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن

---

(١٨) ولد هلال من امرأة تنسب إلى قبيلة الشاذنجان الكردية. وكان بدر قد جانبها بعد مولد هلال مجانبة أفضت إلى عدم التفات بدر إلى ابنه هلال وكان يفضل ابن الضرة أبا عيسى عليه. لكن هلالاً لما ترعرع، ظهرت منه بسالات أدت بأبيه بدر إلى ان يهابه فأزمع على إبعاده منه، فأقطعه صامغان، فلما سار إليها وتولى زمام الحكم فيها لم يكن منه إلا نازل ابن الماضي حاكم شهرزور الذي كان من أمراء أبيه فلما بلغ بدر ذلك كتب إليه ينصحه، ويحذره من قتاله. غير أنه لم يكف عن محاربته، وحشد جيشاً أغار به على شهرزور فقتل ابن الماضي وأولاده، ونهب تلك الأصقاع. فتألم أبوه كثيراً، وأزمع على تأديبه بشدة، غير أن هلالا أغرى قواد أبيه بالهدايا والتحف وضمهم اليه وأغار على دينور فالتقى بجيش ابيه على بابها ، فتغلب عليه وأسره فتنازل له أبوه عن المملكة، على أن يترك له قلعة ينزوي فيها، فينصرف إلى التنسك والتعبد. وما إن لبى هلال طلب أبيه هذا وترك له إحدى القلاع ليستقر بها ، ظهرت مخادعات أبيه له، وإضماره سوءاً نحوه، إذ راسل سراً كلا من أبي الفتح عيار وأبي عيسى شادي يحفزهما على محاربة هلال... فزحف من ناحيته على بلاده، وتوغلا في حدود مملكته. حتى إن أبا الفتح، عَّياراً استولى على قرميسين = كرمنشاه وشن أبو عيسى شادي غارة نهبية على سابور- خواست. إلا أن هلالاً برز لمقاومته، فأخفق أمامه، وتمكن بواسطة أبي بكر بن رافع حاكم نهاوند أن يلقي القبض على أبي عيسى شادي وأن يبيد من جيش الديالمة ما يقارب أربع مئة نسمة بينهم تسعون شخصا من الأمراء. ولما طرق هذا النبأ المؤلم مسامع أبيه بدر استنجد بالأمير بهاء الدولة الديلمي، فأمده بجيش كبير يقوده فخر الملك أبو غالب الذي أورد المؤلف ذكره، مع ماجرى بينه وبين هلال فيما يأتي.

(١٩) هو (فخر الملك - أبو غالب محمد بن علي) ولد سنة ٣٥٤هـ- ٩٥٥م ثم توزر لكل من بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة، وسلطان الدولة أبي شجاع فيروز خسرو من الملوك البويهية، فذاع صيته ولكن السلطان الأخير خاف توسع نفوذه، فأودى بحياته قرب الأهواز سنة ٤٠٧هـ ١٠١٦م.

(٢٠) يقال إنه لما أودع هلالاً السجن في شهرزور، ونيطت إدارة حكومة شهرزور بابنه طاهر لم يكن من سكان شهرزور إلا أن هاجروا بلادهم، حتى إن أحد أولاد هلال أيضاً نزح مع أهليه وحاشيته إلى أنحاء منطقة ديلمكان التي عرفت فيما بعد بأصقاع برادوست. وهو الذي تمكن أحفاده من أن يؤسسوا فيها إمارة برادوست. راجع الصفحة (٤٩٥)، من هذا الكتاب.

ركن الدولة[٢١] حاكم بغداد في ذلك الحين، أن شمس الدولة بن فخر الدولة بن ركن الدولة حسن بن بويه صاحب همدان قد طمع في الاستيلاء على بلاد بدر، هرع إلى إخراج هلال من السجن، وأمده بجيوش ومعدات، وأعاده إلى بلاده الوراثية، فوقعت بينه وبين شمس الدولة في ذي الحجة لعام خمس وأربع مئة للهجرة (١٠١٤م) حرب طاحنة لكن هلالاً لم يصمد في هذه المعركة التي خاض غمارها أمام سيوف شمس الدولة اللامعة، بل أخفق، وانحدر من أفق الحياة إلى مغرب الممات إذ قتل بيد أحد أفراد الجيش الأبطال السفاكين[٢٢].

٤- طاهر بن هلال

كان أبوه مايزال مسجوناً بعد في شهرزول - شهرزور حين اعتصم بها خوفاً من جده[٢٣]، ثم برز في الميدان وسار إلى بلاد جده، فنهض إليه شمس الدولة وأسره

---

(٢١) هو أبو طاهر فيروز خسرو شاه جلال الدولة بن بهاء الدولة بن ركن الدولة ثالث أنجال والده والرابع عشر من ملوك آل بويه تولى السلطنة ببغداد سنة ٤١٨هـ بدلاً عن أخيه كاليجار بن سلطان الدولة الذي ثار الأتراك عليه فخلعوه [م.عوني].

(٢٢) سنذكر في البحث عن أمراء برادوست(ص٤٩٥): أن بعض أولاده أو- سلالته- نزح إثر هذا الاخفاق إلى (برادوست)، وتمكن فيما بعد من تأسيس إمارة مستقلة في أنحائها.

(٢٣) يقال: «لما أودع هلال السجن في شهرزور عام٤٠٤هـ-١٠١٣م كان ناصر الدولة قد ناط زاموا مملكة شهرزور بنواب عميد الجيوش وزير بهاء الدولة. غير أن طاهراً بن هلال برز في هذه الآونة إلى الميدان وزحف عليهم وخلص منهم مملكة شهرزور، إلا أنه لم يكد يستتب له الأمر بها حتى اشتبك مع شمس الدولة ولكن خانه الحظ فغلب على أمره، ووقع أسيراً في يد خصمه، فزجه في السجن في همدان. وأخيراً لما أدرك شمس الدولة أن جلال الدولة (الصواب سلطان الدولة) أناط إمارة شهرزور ومتعلقاتها بالأمير أبي الفتح محمد بن عيار(الصواب أبو الشوك ابن أبي الفتح.م.) دخل مع طاهر في المفاوضة، وعقد معه سنة ٤٠٦هـ -١٠١٥م اتفاقية على شروط ومواثيق، وأطلقه واعترف له بإمارته على شهرزور وآزره بجيش عرمرم سيره معه ليسترجع به مملكته. فنهض إليه أبو الفتح محمد أمير شاذجان، وجرد إليه جيوشاً بقيادة ابنه أبي الشوك فارس ليعرقل زحفه، لكنه لم يتمكن من صده، فغلب عليه طاهر وقتل أخاه سعديّاً، واستمر في زحفه حتى استرد جميع بلاده المغصوبة. وأخيراً تصالحا، فتزوج طاهر شقيقة أبي الشوك. لكن أبا الشوك وإن كان يتظاهر بالود إلا أنه لم يزل يضمر له الخصام والعداء حتى تمكن منه وقتله ثأراً لدم أخيه. وبموته دالت دولة الحسنويهية، وقامت مقامها دولة الأسرة العيارية.

وفي عام ستة وأربع مئة للهجرة (١٠١٥م) تمكن من أن ينجو بنفسه من الأسر، لكنه لم يتمكن من الخلاص مما بيته له القدر، إذ قتل في السنة نفسها بيد أبي الشوك.

٥- بدر بن طاهر بن هلال[٢٤]

أسند إليه في سنة ثمانٍ وثلاثين وأربع مئة للهجرة (١٠٩٥م) بأمر من (إبراهيم ينال) زمام الحكم في قومش[٢٥] ودينور.

[(أسرة بني عيار= بني عياز = بني عناز = بني عنان -[٢٦])]

١- أبو الفتح محمد بن عيار[٢٧]

تولى زمام الحكم في حلوان[٢٨] زهاء عشرين سنة، وتوفي سنة إحدى وعشرين وأربع مئة للهجرة (١٠١٠م). كان (أبو الفتح) هذا من إحدى القبائل الكردية، فلم

---

(٢٤) كان بدر بن طاهر هذا قد هرب بعد مقتل أبيه إلى قرميسين -كرمنشاه فتألب عليه خلق كثير من العشائر الكردية، فسار بهم بقوة أمده بها إبراهيم ينال إلى دينور فاستولى عليها وتولى زمام الحكم بها ردحاً من الزمن. ثم منحه إبراهيم ينال قرميسين- كرمنشاه. غير أنه لم يستتب له بها الأمر حتى أغار عليه مهلهل من أمراء بني عيار سنة ٤٣٨هـ ١٠٤٦م وانتزعها منه وضمها إلى بلاده.

(٢٥) قومش: مقاطعة بشمالي إيران في سفوح جبال طبرستان، مركزها الآن بلدة دامغان. (والظاهر أن هذه ليست غرض المؤلف هنا [محمد علي عوني]. قومش:[هذه إحدى القرى التابعة الآن لسلطة ماهيدشت - مايدشت حوالي كرمنشاه، كانت فيما مضى عاصمة هذه الإمارة كما يظهر].

(٢٦) العنوان المحصور بين عضادتين من إضافتي، إذ إن عهد الأسرة الحسنويهيه انتهى، وبدأ عهد جديد. هذا واختلف المؤرخون في ضبط هذا الاسم، فمنهم من ضبطه عيَّاراً كالمؤلف، وضبطه بعضهم عيازاً، كما ضبطه ابن الأثير عنازاً وآخرون عناناً. ولكن أرجح ضبط شرفنامه فإن عياراً ومعناه المكار والسياسي والمحنك كلمة كثيرة الاستعمال بين الأكراد.

(٢٧) كان الأمير أبو الفتح محمد بن عيار هذا أمير عشيرة شاذنجان الكردية، ومن قواد أبي النجم ناصر الدولة بدر الحسنويهي، فكان يتولى الحكم في شهرزور وقومش وكرمنشاه، كما كان ابنه أبو الشوك فارس يتولى زمام الحكم في حلوان. هذا وانه منذ تعيينه قائداً سنة ٣٨٠هـ- ٩٩٠م لم يزل يجد في إقناع الرأي العام للقيام بانقلاب ونزع هذه الدولة من الحسنويهي لإناطة إدارتها بنفسه...

(٢٨) حلوان: بلدة قديمة على مسافة ١٩٠ كيلومتراً في شمال الشرقي من بغداد على طريق الموصل

تكن له صلة بالأسرة الحسنويهية، ولم يتفرع من أحد أفخاذها[٢٩]. غيرأن المؤرخين عدوه ممن تولوا الحكم على دينور شهرزول - شهرزور، وكانت عاصمة ملكه قومش[٣٠] تارة، وشهرزول - شهرزور تارة أخرى.

٢- أبو الشوك بن محمد بن عيار [٣١]

كان لقبه حسام الدولة، تمكن سنة إحدى وعشرين وأربع مئة للهجرة (١٠٣٠م) من الاستيلاء على ولاية قوما[٣٢]، وكانت نار النزاع بينه وبين أخويه[٣٣] متأججة

إلى كرمنشاه، وواقعة على إحدى روافد نهر ديالى مشهورة بحماماتها الكبريتية [محمد علي عوني].

(٢٩) يدعي السيد حسين حزني: أنه كان بينهما صلة قرابة، وإن أبا الفتح محمد هذا إنما هو عيار بن الأمير حسين البرزيكاني والد الأمير حسنويه مؤسس هذه الدولة،[ولكن زعمه باطل وقد قال الأمير شرف إن لا قرابة بينهما].

(٣٠) وفي نسخة أخرى قوماش، والظاهر أنها قومش المتقدم ذكرها نفسها[م.عوني].

(٣١) كان أبو الشوك فارس هو ووالده محمد بن عيار من قواد الدولة الحسنويهية، فشقا عصا طاعتها وثارا عليها، وقتل أبو الشوك فارس طاهراً، وغصبا مملكته واسسا فيها دولة بني عيار التي نتحدث عنها. ثم إن أبا الشوك خاض غمار الحرب ضد علاء الدولة بن كاكويه الذي غزا همدان وما جاورها، وتابع زحفه على دينور وملحقاتها بيد أن جيشه أخفق، فتقهقر به إلى حلوان. ثم لما أدرك ضعفه، وعدم تمكنه من المقاومة، والصمود أمام الجيش الزاحف، احتمى بالوزير شرف الدولة، فعند ذلك لم يكن من علاء الدولة الذي سمع بسطوة شرف الدولة وقوة شكيمته، إلا أن سحب جيشه، ورجع إلى همدان . وكذالك وقف أبو الشوك في وجه طائفة الغز الذين شنوا عام ٤٢٠هـ -١٠٢٩م هجوماً عنيفاً على دينور فجهز بقيادة ابنه أبي الفتح جيشاً سيره لصد زحفهم، فاستمات هذا الجيش في الدفاع عن مملكته فظفر بطائفة الغز وشتت شملهم، الأمر الذي أدى إلى علو شأنه، وازدياد نفوذه. فلما طرق نبأ هذا النصر على مسامع خليفة بغداد، خلع عليه بسيف مرصع، ومنحه لقب حسام الدولة. ثم إنه لم يزل يبذل جهده في بسط نفوذه، وتوسع بلاده حتى ضم إليها سنة ٤٣٠هـ ١٠٣٨ قرميسين = كرمنشاه وبلاد الجبل ومدناً أخرى كثيرة. واتخذ ابنه أبا الفتح ولي عهد له. هذا، وفيما كان أبو الفتح يتولى إدارة دينور نيابة عن أبيه، أخذ يتطاول على الأمراء المجاورين له، فاحتل قلعة بكورا وحصن بيزار شاه ونواحي سند وصامغان وبلاداً اخرى من يد مهلهل، لكن مهلهلاً تغلّب عليه أخيراً. وأسره حتى مات في سجنه.

(٣٢) هي (قومش) نفسها غير أنها تكتب مرة قم ومرة أخرى قوماش وتارة أخرى قوما محرفة.

(٣٣) يقصد بهما مهلهل وسرخاب اللذين يأتي ذكرهما.

فلا تكاد تخمد. وقضى نحبه سنة سبع وثلاثين وأربع مئة للهجرة (١٠٤٥م)[٣٤].

٣- **مهلهل**[٣٥]

قصد أخوه مهلهل المكنى بأبي ماجد سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة للهجرة (١٠٥٠م) طغرل بيك السلجوقي والتمس منه أن يفرج عن أخيه سرخاب المودع في السجن، فلبى ملتمسه وأفرج عن أخيه.

٤- **سرخاب بن محمد** [٣٦]

لما تخلص سرخاب من سجن طغرل بيك، التحق بحكومة ماهگي [٣٧] فأخذ

---

(٣٤) كانت وفاته في قلعة سيروان. وفي البلدان لليعقوبي ص٣٤ أن سيروان مدينة جليلة القدر عظيمة واسعة بين جبال وشعاب وهي اشبه المدن بمكة تبعد مرحلتين من الصيمرة، كانت تسمي «ماسبذان»... الخ.

(٣٥) كان أبو ماجد مهلهل بن أبي الفتح محمد بن عيار هذا يتولى على عهد أخيه زمام الحكم في بكورا، وجرى بينه وبين أبي الفتح أبي الشوك ما جرى في الحروب، وماأسفر عن أسره أبا الفتح ووفاته في سجنه. ثم لما مات أبو الشوك انتهز مهلهل الفرصة فأغار على ابنه سعدي وانتزع منه جميع بلاده. وكذلك أغار على بدر بن طاهر الحسنوي في سنة (٤٣٨هـ- ١٠٤٦م) فانتزع منه كرمنشاه كما دحر جيش إبراهيم ينال الذي جاء لمساعدته عام ٤٤٣هـ-١٠٥١م. ثم قصد (السلطان طغرل بيك) في بغداد فمنحه داقوق وشهرزور وصامغان وسيروان وما جاورها. وأخيراً نهض إليه سعدي بن أبي الشوك فأسره، ورد ملتمس السلطان طغرل بشأن الإفراج عنه. أما مآل حاله فمايزال مجهولاً.

(٣٦) كان سرخاب هذا قد استفاد من المنازعات الدائرة بين أخيه أبي الشوك حسام الدولة فارس بن محمد وبين علاء الدولة كاكويه فاستولى على دكوكا-داقوق. وأخيراً لما أغار إبراهيم ينال على جيش أبي الشوك وهزمه انتهز سرخاب الفرصة فسار إلى ابنه سعدي فانتزع منه بندنيجين-مندلي وغنم أمواله، وتولى الحكم فيها ردحاً من الزمن، ثم قبض عليه بعد حروب دامية وأودعه السجن، وبعد ذلك نشب بينه وبين ابنه أبي عسكر الحرب، فتمكن أبو عسكر من دحره بواسطة عشيرة ماهگي الكردية له فأسره وبعث به إلى إبراهيم ينال الذي لم يكن منه إلا أن سمل عينيه، غير أن أخاه مهلهلاً التمس منه عام ٤٤٣هـ-١٠٥١م فأفرج عنه، كما منح قلعة ماهگي، هذا وجاء في مشاهير الكرد وكردستان أنه قتل في السنة نفسها.

(٣٧) ماهگي: عشيرة كردية تقطن حوالي كرمنشاه وحليلان. أسست في وقت إمارة صغيرة عرفت باسمها.

يقضي أوقاته فيها. هذا ولما كانت عشيرته ورجال قبائله قائمين سنة تسع وثلاثين وأربع مئة للهجرة (١٠٤٧م) بثورة، وشاقين عصا طاعة الدولة، أسر من جراء ذلك، وأحضر بين يدي إبراهيم ينال[٣٨] فأمر بسمل عينيه.

٥- سعدي بن أبي الشوك [٣٩]

وقع سعدي هذا أسيراً بيد عمه سرخاب، فلبث سجيناً في قلعته إلى أن قام أبو عسكر بن سرخاب، (بعد أن جرى لأبيه ما جرى) بإنقاذه. هذا، وقاد عام أربعة وأربعين وأربع مئة للهجرة (١٠٥٢م) بأمر من طغرل بيك جيشاً عرمرماً إلى العراق العربي[٤٠] فقبض على عمه مهلهل.

---

(٣٨) هو إبراهيم ينال أو إبراهيم إينال الأخ الصغير لطغرل بيك السلجوقي مؤسس الدولة السلجوقية في فارس، ثار على أخيه بجهة همدان سنة ٤٥٠هـ. قتل هو وتشتت جماعته [محمد علي عوني].

(٣٩) كان سعدي هذا يتولى على عهد والده الحكم في بندنيجين = مندلي، وبغتة أغار عليه عمه سرخاب فانتزعها منه فلما توفي والده وتقلد عمه مهلهل زمام الحكم، احتمى بالأمير إبراهيم ينال وطلب منه أن يسترد له المملكة الوراثية، فأمده بجيش من عشيرة (غز) التركمانية، فأغار على حلوان واستولى عليها. وتم له الأمر فيها، فأمر بتلاوة الخطبة باسم إبراهيم ينال، ثم تبسط في توسيع نفوذه فاحتل بضع قرى، وبعد مدة كر مهلهل على حلوان فاحتلها وطارد سعديًّا، فلم يبق له إلا أن يشن غارات السلب والنهب على بلاد عمه سرخاب، بيد أن سرخاب ظفر به فأسره وأخيراً انقذه ابنه من السجن، فلما تخلص أغار على حلوان مرة أخرى واستولى عليها ثم أناط به السلطان طغرل قلعة(رادندبين) وأخيراً نشب بينه وبين مهلهل الحرب، فغلب عليه وأسره ورد التماس طغرل بشأن الافراج عنه، وعاهدا سراً الملك رحيم. فلما أدرك طغرل ذلك، ناط الإمارة بالأمير أبي منصور بدر بگ بن مهلهل وسيره بجيش لمحاربته، فاشتبكا وخاضا غمار حروب دامية من دون أن ينتصر أحدهما، وأخيراً تدرج بدر بيگ في توسيع نفوذه، وتكثير قوته فعبأ قوة عظيمة أغار بها على مملكة سعدي وانتزعها منه شيئاً فشيئاً. وما حلت سنة ٤٤٦هـ - ١٠٥٤م حتى استولى على مملكته تماماً، فانهارت حكومة حسنواي - برزيكاني - بنو عنان المستقلة وصارت حكومة تابعة للسلاجقة، تقلد زمام حكمها بدر بيگ بن هلال وأخذ يدير شؤون شهرزور ودينور وحلوان.

(٤٠) يعني بالعراق العربي: ولايتي بغداد والبصرة القديمتين. ووصفه بالعربي ليقابل العراق العجمي التي هي عبارة عن بلاد الجبل أي مناطق الري ونهاوند وهمدان.

٦- سرخاب بن بدر مهلهل[٤١]

كان سرخاب هذا يكنى بأبي الفوارس، ويعرف بابن أبي الشوك. تولى منصب الولاية في شهرزول - شهرزور وقوما مدة من الزمن. ثم نهض عام خمسة وتسعين وأربع مئة (١١٠١م) إلى غزو قلعة (جقندكان)[٤٢] التي انفلت زمام تصرفها من أيديهم منذ أمد بعيد، فاسترجعها. وكان ذا ثروة طائلة وبأس شديد، إلى جانب وفرة المعدات وكثرة التجهيزات. وقد وافته المنية في شوال سنة مئة (١١٠٦م) .

٧- أبو المنصور

تسلم أبو المنصور كرسي الحكم بعد وفاة أبيه[٤٣] وبقى زمام الحكم في يد هذه الأسرة العريقة مدة لاتقل عن مئة وثلاثين سنة.

---

(٤١) ولي أبوالفوارس سرخاب الحكم بعد وفاة أبيه، بفضل مساعدات طغرل بيك له، فتولى إدارة الدولة في شهرزور وخفتيزگان ودكوكا-داقوق ثم اتفق مع السلطان بركيارق بن ملك شاه، وفي سنة ٤٩٥هـ - ١١٠٢م اخترق أحد أمراء التركمان المدعو قرابلي سلغر حدود بلاده، فجرد أبو الفوارس سرخاب اليه جيشاً يصد زحفه فاشتبك به ودحره، وكر قرابلي ثانية بجيش عرمرم، غير أن هذا الجيش لم يكن بأسعد حظاً من الأول ورجع فاشلاً أيضاً، بيد أنه لم يكف وأغار عليهم للمرة الثالثة بجيش لا يعد ولا يحصى، وخاض غمار الحرب ضد الأكراد فغلب عليهم وقتل منهم نحو ألف نفر، وبعد معركة دامت أربعة أيام انسحب سرخاب نحو الجبال؛ وفي هذه الآونة اهتبل أحد قواده-وكان أميراً على قلعة خفتيزگان المحصنة-فرصة اندحاره، فثار عليه واستولى على تلك الأنحاء وغصب ما بقي في القلعة من الذخائر والمعدات الكثيرة، فلما أدرك بركيارك ذلك سير على الأمير الثائر قوة حصلت منه مئة ألف دينار ذهب، ولم يبق في تصرف أبى الفوارس سرخاب من الملك عدا شهرزور وداقوق، فاتفق أن توترت العلاقات بين أمير قلعة خفتيزگان وأحد أصحابه الثوار، فقتل واحد منهما الآخر، ثم أوفد القاتل إلى سرخاب من يعرض طاعته عليه، ويعده بتسليم القلعة إليه على أن يصفح عن جريرته؛ فطمأنه سرخاب بالأيمان المغلظة، واسترد قلعته، وفي سنة (٤٩٩هـ - ١١٠٥م) توغل بلك بن بارام بن أرتق في أملاكه وحاصر قلعة جاني جار (قره هەنجير) مدة احتلها بعدها، فنازله سرخاب ثلاث مرات متتاليات أخفق في جميعها، وأخيراً توسط لإصلاح ذات البين، المصلحون، فأعادوا القلعة إلى سرخاب.

(٤٢) كتب كذا و صوابه «خفتيذگان» ويعني بها «دربنديخان»، والتصويب من الكامل لابن الأثير ج١٠/ص١٣١.

(٤٣) يقول السيد حسين حزني: إن أبا منصور بن بدر تسلم زمام الحكم بعد وفاة أخيه أبى الفوارس سرخاب فنهض ببلاده شهرزور نحو التقدم زراعياً واقتصادياً وبالغ في عمرانها، وهكذا أدار شؤونها نحو عشرين عاماً بالاستقلال التام.

الفصل الثالث

في شأن حكام الفضلوية المعروفة باللر الكبرى

ورد في(زبدة التواريخ)[١]: «أن السبب في إطلاق اسم (اللر - Lurr) على هذه الطائفة هو أن في ولاية مانرود قرية تسمى كرد. وعلى مقربة من تخومها مضيق يدعى باللغة اللرية كول[٢] وفي المضيق المذكور موضع يقال له (لر)[٣] وقد نشأوا في الأصل منه، فدعوا باسمه. هذا ووردت في هذا الباب روايات أخرى. ولكن الفقير لما كان يعدها واهية ضرب صفحاً عن إيرادها في هذه الرسالة.

أ- [الأسرة البدرية[٤]]

١و٢- بدر وأبو منصور

أما ولاية لرستان = بلاد اللر، فقسمان: اللر الكبرى واللر الصغرى، ذلك لأنه نهض حوالي المئة الثالثة أخوان بولاية الحكم فيها في عصر واحد. فكان حاكم اللر الكبرى بدراً وحاكم اللر الصغرى أبا منصور، فتمتع بدر بالحكم أمداً طويلا، ولما

---

(١) زبدة التواريخ ثلاثة، اثنان منها بالفارسية والثالث بالتركية: الأول لنورالدين بن لطف الله الهروي الشهير بحافظ أبرو المتوفي سنة ٨٣٤هـ ألفه لباي سنقرميرزا الثاني لأبي القاسم جمال الدين بن علي الكاشي المتوفي سنة ٨٣٦هـ، وأما الثالث فللمولى مصطفى أفندي بن إبراهيم الرومي الشهير بـ«صافي»، كتبه ذيلا على التاريخ التركي المسمى بتاج التواريخ بأمر السلطان أحمد وبلغ إلى سنة ١٠٢٤ [م.عوني]. [أقول المعنى بكتاب (زبدة التواريخ) هنا هو الذي ألفه السيد صدر الحسيني مؤرخ السلاجقة والكتب المسماة (زبدة التواريخ) أكثر من خمسة].

(٢) الظاهر (كل -Kal) - الفائجة - الفتحة بين الجبلين - المضيق.

(٣) يقول مؤرخ تأريخي عمومي (٥-١٩٢- ج - ٥): «اللر، اسم جبل يكثر فيه الأيك، ولما كانت بلاد لرستان واقعة في منطقة جبلية مكتظة بالغابات القريبة من إيران وممتدة حتى خوزستان، دعيت لما ذكر (لر)اً.

(٤) العنوان المحصور بين معقوفين من إضافتي للتمييز بين أسرتي البدرية والفضلوية.

قضى نحبه، انتقلت حكومته إلى حفيده الآتي ذكره.

٣- نصير الدين محمد بن هلال بن بدر[٥]

انتقلت الحكومة إلى نصير الدين هذا من جده، فأسند منصب وزارته إلى محمد خورشيد. ثم اتفق أن نزح في حدود سنة خمس مئة للهجرة (١١٠٦م) نحو أربع مئة (چهارصد)[٦] أسرة كردية من جبل السماق في الشام[٧] على أثر نزاع حدث بينهم وبين رئيسهم إلى لرستان، واندمجوا بين العشائر التابعة لحفدة محمد خورشيد كرعايا[٨].

وفي أحد الأيام أولم لهم حفيد محمد خورشيد - وزير المملكة القائم بحماية الأكراد- وليمة فخمة. فلما بسطت الموائد، صادف أن وضع أمام رئيسهم أبي الحسن الفضلوي رأس ثور، فتفاءل بذلك تفاؤلا حسناً، وقال لأتباعه: «إننا سنرأس هذا الشعب!».

وكان لأبي الحسن هذا ابن اسمه علي، كثير الولع بالقنص، وفيما يصطاد بكلبه، لقي أناساً تعرضوا له، وجرت بينهم مناقشات حادة أسفرت عن أنهم أثخنوه ضرباً وتركوه مغمى عليه، بعد أن سحبوه من رجله وألقوه في كهف مهجور. إلا أن كلبه لم يزل يتبعهم، حتى جن عليهم الليل وغلبهم النوم، فهجم الكلب الوفي لصاحبه على رئيسهم وعَض خصيته، وأخذ يلوكها حتى قضى عليه، ثم رجع إلى دار صاحبه، فلما رأى أشياع (علي) أن الكلب متلطخ الفم بالدم ، أيقنوا أن هناك

---

(٥) جاء في تأريخ الدول والإمارات الكردية (٢-١٢٥): «وقد خلف بدراً في اللر الكبير حفيده نصرالدين في الوقت الذي كان النصف من هذه البلاد يدين بالخضوع لأسرة من أكراد الشول. كان زعيمهما يدعى سيف الدين وهي الأسرة التي ترجع الروايات القديمة والأساطير حكمها لهذه البلاد إلى عهد الساسانيين».

(٦) وفي نسخة أخرى «صد - مئة» بدل «چهارصد - أربع مئة».

(٧) جبل السماق: اسم للجبل والهضبة الواقعة في غربي حلب بجوار إسكندرونة [محمد علي عوني] [وقد ضبطه محمد أمين زكي بك بلفظ جبل أمعاد؟ خطأ].

(٨) جاء في دائرة المعارف (ج٣): أن هذه القبيلة الكردية غادرت بلاد سوريا برئاسة زعيمها الفضلوي إلى ميافارقين ثم بارحتها إلى آذربيجان وگيلان، وأبرمت مع أميرها ديباجي اتفاقية. ثم نزحت منها إلى لرستان، وحلت في شمالي (شتران كوه) سنة ٥٠٠هـ- ١١٠٦م.

أمراً. ولم يكن من الكلب إلا أن عاد أدراجه، فتتبعوا أثره، حتى بلغ بهم الكف الذي ألقي فيه علي. فحملوه إلى البيت، وقاموا بمعالجته حتى استرد صحته. ثم لما توفي[٩] لحق ابنه محمد[١٠] بالسلغريين[١١] حكام بلاد فارس المتزعمين، غير المتصفين بالسلطنة الشرعية، وتقرب إليهم بفضل إقدامه وبطولته، فعلا شأنه. فلما وافاه الاجل المحتوم اختار ابنه أبو طاهر الشاب الجرىء ملازمة أتابگ سنقر[١٢] وكانت العلاقات متوترة إذ ذاك بينه وبين حكام شبانكاره[١٣]، فما كان إلا أن سيره إليهم بجيش جرار، فتمكن من قهرهم والعود ظافراً إلى فارس. فاستحسن الأتابگ سنقر منه ذلك، وأمره أن يطالبه بمكافأته بما يروقه فطلب أبو طاهر منحه فرساً من خيوله الخاصة ، فأجابه إلى ملتمسه، وأمره أن يطلب ثانياً، فالتمس منه أن يمنحه الوسام الأتابگي فأجابه إلى ذلك أيضاً وأمره أن يسأله ثالثاً، فعرض عليه «لو أذنتم لي بالإغارة على لرستان لاستخلاصها، وضمها إلى الممتلكات الأتابگية!» فأعار الأتابك ملتمسه هذا أذناً صاغية، وجهزه بجيش عرمرم سار إلى لرستان[١٤].

---

(٩) ورد في «تاريخي عمومي» (٥-١٩٣) أن علياً قام بإدارة شؤون عشائره ردحاً من الزمن.

(١٠) جاء في المصدر السابق: أن محمداً وابنه أبا طاهر قصداً معاً الأتابك سنقر، فعهد إلى كل منهما بمهمة.

(١١) سلغر: اسم لثلاثة من سلاجقة إيران: أولهم جد أتابك سنقر بن مودود مؤسس الحكومة السلجوقية في إيران وتسمى أيضاً سلغرية وسلغريان.

(١٢) أتابك سنقر: هو سنقر بن مودود بن سلغر مؤسس الدولة الأتابگية السلجوقية بفارس سنة ٥٤٣هـ. كان من أمراء السلطان مسعود السلجوقي استمرت حكومتهم بفارس إلى سنة ٦٦٢هـ مدة ١٢٠عاماً. وعدد ملوكهم عشرة [محمد علي عوني].

(١٣) شبانكاره = شوانكاره: عشيرة كردية ذات بأس وقوة، تتألف من خمس فرق، تمكنت في وقت من الأوقات من تأسيس حكومة في قلب فارس دامت زهاء قرنين ونصف قرن تقريباً، أسسها رئيسها الأمير فضلويه بن علي بن حسن الأيوبي.

(١٤) ورد في تأريخ الدول والإمارات الكردية ٢-١٣٦، حيث أقطعه، بناء على طلبه، ناحية كوه جيلويه (كوه گلويه)وأصحبه جيشاً لغزو لرستان في عام ٥٤٣هـ.

ب- (الأسرة الفضلوية)[١٥]

١- أبو طاهر بن محمد بن علي بن أبي الحسن الفضلوي

لما أنجده أتابك سنقر بالجيوش وسار إلى لرستان وتوغل فيها واحتلها صلحاً وعنفاً، طمع في التفرد بالملك والاستقلال بالحكم، فبث في الناس أمراً: لأن يدعوه أتابكا، وحذا أولاده بعده، حذوَه. وعلى هذا التقدير، فإن أبا طاهر وذريته «أتابكة جعليون» لا «أتابكة حقيقيون»، لأن الأتابكة الحقيقيين، هم جماعة من أمراء سرحد، كان الملوك السلاجقة[١٦] قد عهدوا إليهم بتربية أبنائهم، فخصوا بلقب أتابگ الذي يعنى به (الأب الأمير) أو (أب الأمير)[١٧].

ومجمل القصة، أنه لما خضعت له ولاية لرستان بكاملها بدأ عام خمسين وخمس مئة (١١٥٠م) يقلب ظهر المجن لمولاه أتابك سنقر، فاستقل بالحكم، وتمتع بإدارة شؤون بلاده دهراً طويلاً، أدركته المنية بعده[١٨] معقباً خمسة أولاد، وهم: هزار اسب «أسب» وبهمن وعماد الدين بهلوان ونصرة الدين إيلوا كوش وقزل أتابك[١٩].

---

(١٥) العنوان الموضوع بين معقوفين من إضافتي كسابقه.

(١٦) ملوك السلاجقة: خمس أسر سلجوقية، حكمت في خمسة أقطار، (أ) الأسرة التي حكمت خراسان وقسماً من إيران وأسست حكومتها عام ٤٩٢هـ-١٠٩٤م (ب) الأسرة التي أسست حكومة في كرمان عام ٤٣٢هـ-١٠٤٠م (ج) الأسرة التي حكمت العراق وكردستان واقامت سلطنتها سنة ٥١١هـ-١١١٧م (د) الأسرة التي أقامت سلطنتها على سورية- الشام عام ٤٨٧هـ-١٠٩٤م(هـ) الاسرة التي اسست عام ٤٧٠هـ-١٠٧٧م حكومة في بلاد الروم- الأناضول.

(١٧) أتابك (أطابك): كلمة تركية مركبة من أتا = الأب، وبك = الأمير، السيد، ومعناها إما الأب الأمير على كونهما صفة وموصوفاً، أو أب الأمير على كونهما مضافاً ومضافاً إليه. وكانت في الأصل تطلق على من يتعهد بتربية أبناء السلاطين، ثم تلقب بها أمراء الدويلات والحكومات في كردستان، وهم خمس طبقات، أمراء الحكومة الأرتقية، وحكام حكومة شاه أرمن، وسلاطين الحكومات الزنكية، وأتابكية أرزنجان، وأتابكة لرستان.

(١٨) كانت وفاته سنة ٥٥٥هـ - ١١٦٠م .

(١٩) ضبطه في تأريخ الدول والإمارات الكردية: قزل بجگم؟! .

٢- هزار اسب

تولى هزار اسب الحكم على مملكة لرستان بالاستقلال التام بوصية من أبيه، وبإجماع الآراء من أخوته وأعيان بلاده. فازدهرت المملكة على عهده، حتى حكت قطعة من الجنان. فقصدها من جبل السماق في الشام[٢٠] عشائر عديدة[٢١] مثل جماعة عقيلي من سلالة عقيل بن أبي طالب، وقبيلة هاشمي من ذرية هاشم بن عبد مناف، وعشائر أخرى مثل: استركي ومماكويه وبختياري وجوانكي وبيدانيان وزامديان وعلاني ولوتوند وبوازكي وبتوند وراكي وخاكي وهاروني وأشكي وكوي وليراوي ومويى وبحسفوي وكمانكشي ومماسنى «مام حسني» وأومكي وتوابي وكداوي ومديحه وأكورد وكولارد[٢٢] وعشائر أخرى متفرقة ليست لهم أنساب معروفة.

فلما انضمت هذه الفرق إلى هزار اسب وأخوته، ازدادوا بهم نفوذاً وبأساً، فتبسطوا في نفوذهم حتى احتلوا شولستان[٢٣] بكاملها، وبذلك استتب له الأمر، وعظم شأنه. ثم أن هزار اسب تقدم ببلاده نحو الحضارة فأحيا جميع الأرضين القابلة للزراعة والعمران بما شيد فيها من القرى الكثيرة، وأسكن بها الناس، حتى لم يترك في منطقة لرستان ومنطقة شولستان أرضاً قاحلة ولا محلاً غامراً غير مسكون، وفتح أبواب العدل والاحسان على الشعب. وقد أعطاه خليفة بغداد منشوراً، وخلع

---

(٢٠) جاء في تاريخ عمومي ٥-١٩٥: أن عدالة هزار اسب ونهوضه ببلاده نحو التقدم من الناحيتين العمرانية والزراعية، هما اللذان بعثا على أن يغادر كثير من قبائل وعشائر جبل السماق وبعض أنحاء كردستان إلى لرستان.

(٢١) الظاهر مما ورد في تأريخ الدول والإمارات الكردية ٢-١٢٧: أن عشيرة الفضلوية التي جاءت اليها سابقاً كانت كردية وحذت بقية هذه العشائر حذوها لوجود رابطة قريبة بينهما مع هولاء.

(٢٢) تختلف بعض أسماء العشائر الواردة هنا، مع ما أورده مؤلف (تاريخ الدول والإمارات الكردية) نقلاً عن تاريخ گزيده. على أن هناك أسماءً أخرى لم ترد هنا.

(٢٣) شولستان: مقاطعة في ولاية فارس سميت باسم عشائر شول الكردية التي نزحت إلى المقاطعة المسماة باسمها وإلى أنحاء دزفول سنة ٥١٩هـ من مكريان وآذربيجان. وفي ذلك يقول الشاعر:

«زكردان شاهين وراوند و شول بسى لشكر آمد سوى دزفول»

[لقد جاء إلى دزفول من أكراد شاهين وراوند وشول جيوش كثيرة]

عليه الخلع الفاخرة [٢٤] ثم جاءته المنون فلقي حتفه[٢٥].

٣- أتابك تكله بن هزار اسب

وهو المتولد من أم سلغري، تسلم الحكم بعد وفاة والده، ولما بلغ نبأ وفاة هزار اسب فارس، نهض اليه أتابك سعد السلغري[٢٦] للحقد الذي كان يضمره له ولأبيه، وسير إليه جيوشاً ثلاثة متتابعة. غير أنه أخفق في محاولاته، وانتهت المعارك بانتصار (تكله) وظفره[٢٧].

ولما حلت سنة ٦٥٥هـ(١٢٥٨م) واتجه هولا كوخان[٢٨] إلى بغداد، قصده تكله

---

(٢٤) يقول السيد محمد أمين زكي بگ (ص:١٣٨ج:٢): إنه أوفد أخيراً إلى بلاط الخليفة العباسي الناصر لدين اللّه من يلتمس منحه لقب أتابك، فتكرم الخليفة ومنحه هذا اللقب، وبعث إليه بالخلع وببراءة اللقب، ولم يقتصر عمله السياسي على هذا فقط، بل نجح أيضاً في توطيد دعائم الصداقة وصلات المودة مع السلطان محمد الخوارزمي «كذا» [فالصواب خوارزم شاه بمصاهرة كريمته...إلخ].

(٢٥) كانت وفاته - كما جاء في تأريخ عمومي سنة (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م). أما ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من أنه توفي سنة (٦٥٥هـ-١٢٥٧م) فخطأ بين، لأن ابنه أتابك تكله اصطحب هلاكو إلى بغداد في المحرم الحرام سنة (٦٥٦هـ = ١٦كانون ١٢٥٨م) بعد أن كان متقلداً زمام الحكم منذ سنتين ومشتركاً في حروب عدة .

(٢٦) أتابك سعد سلغري: هو سعد بن أبي بكر سابع الملوك الأتابگية بفارس. تولى الملك وهو صغير، تحت وصاية والدته تركان خاتون التي أرادت الانفراد بالملك بعد وفاة ابنها المذكور. فحاربها محمد شاه.

(٢٧) يقول السيد محمد أمين زكي بك: إن أتابك سعد السلغري جرد إليه بقيادة جمال الدين عمر من بني اعمام هزار اسب جيشاً مؤلفاً من ألفي نفر أو عشرة آلاف نفر كما يدعيه صاحب تاريخ عمومي فالتقى به على مقربة من قلعة بيرونه. ولم يكن قوة أتابك تلكه لتزيد على خمس مئة فارس، فخاضا غمار الحرب وكاد يندحر جيشه القليل، غير أن سهماً أصاب القائد جمال الدين عمر فأرداه قتيلا فتشتت جيشه شذر مذر، ثم أغار عليه جيوش السلغريين ثلاث مرات أخرى، لكنه تغلب عليهم أيضاً . وكذلك زحف بجيشه على بلاد اللر الصغرى فنزع بعض أنحائها من حاكمها حسام الدين خليل، وبعد مدة توترت العلاقات بينه وبين خليفة بغداد فجاءه من خوزستان جيش الخليفة يقوده كل من بهاء الدين گرشاسب وعماد الدين يونس فتوغلا في بلاد لرستان ونهبا بعض أنحائها وأسرا أخاه أتابك تكله وحبساه في قلعة لاهوج وأخيراً نهض اليهما أتابك تكله بجيش مجهز خاض به غمار الحرب ضدهما، فتغلب عليهما وقتل القائد عمادالدين يونس وأسر القائد الآخر بهاء الدين گرشاسب، غير أنه أفرج عنه على أن يطلق أخاه.

(٢٨) هلاكو خان بن تولى خان بن جنگيزخان: مؤسس الدولة الايلخانية الحاكمة بإيران تعين من قبل

منقاداً لطاعته، فأنعم عليه بمنصب في (تومان – فيلق)[٢٩] (كيتمو قانوين)[٣٠]. ولما احتل هلاكو خان بغداد، نمى إليه أن أتابك تكله تألم من مقتل الخليفة[٣١] واندحار جيش المسلمين؛ فاستشاط غضبا، وصمم على قتله. فلما شعر أتابك تكله بذلك انصرف ولم يستأذنه في الانصراف، وعاد إلى لرستان فسير هلاكوخان في أثره كيتمو قانوين وأمراء آخرين للقبض عليه. وفيما هم في طريقهم إليها، التقوا بأخيه ألب أرغون[٣٢] وهو متجه نحو المعسكر، فأسروه وصفدوه، وتوغلوا في الولاية. فلما لم يستطع تكله المقاومة، فتحصن بقلعة مانخست(؟)[٣٣] فكلما أوعده الأمراء أو وعدوه، وحاولوا إقناعه لأن يخرج إليهم، ذهبت مساعيهم أدراج الرياح. وأخيراً أرسل هلاكو خان خاتمه ليعتمد عليه ويأمن على حياته، فوثق به

أخيه منكوقاء. إن الجالس على عرش جنگيز لاجتياح غربي آسيا سنة ٦٥٦هـ فاجتاز نهر الجيحون إلى إيران وقضى على دولة الملاحدة الإسماعلية وأطلق نصير الدين الطوسي في سجنه واتخذه وزيراً له. وهو الذي أشار عليه بفتح بغداد. [م عوني].

(٢٩) توما أو طومان: جاء لمعان عدة (أ) جيش مؤلف من عشرة آلاف نفر (ب) معسكر يسع عشرة آلاف نفر (ج) إقطاعة تحتوي على عشرة آلاف آقچة (د) بدرة تحوي عشرة آلاف دينار.

(٣٠) ضبطه بعض المؤرخين (كيتو قابوس) هنا وفيما بعد.

(٣١) كان الخليفة هذا هو المستعصم بالله بن المستنصر بالله آخر الخلفاء العباسيين، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عام (٦٤٠هـ-١٢٤٢م) وقتل في ٢٠ محرم الحرام سنة (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) من قبل هلاكو وبه انقضت الخلافة العباسية. هذا ولكن الروايات متضاربة في ضبط تاريخ مقتله وفي تعيين الوقت..

(٣٢) هو شمس الدين ألب أرغون رابع الملوك الأتابگية الحاكمة بلرستان الكبير. أولهم أبو طاهر بن محمد الذي نال لقب الأتابگية من أتابگ سنقر الآنف ذكره أيام كان أحد أمرائه. فأسس الإمارة بكردستان سنة ٥٤٥هـ وعدد ملوكهم تسعة آخرهم مظفر الدين افراسياب [م. علي عوني] [إن شمس الدين هذا كان قال لأخيه، إن المصلحة تقضي أن توفدني إلى هلاكو لأتمكن من التوفيق بينكما، حتى ينسحب جيش المغول فاستحسن أتابك تكله كلامه، ووعده ألا يحارب جيش المغول حتى عودته إلى لرستان . فلم ينازلهم أتابك تكله خوفاً من أن يقتلوا أخاه، وتحصن بقلعة جانبخشت].

(٣٣) هذا الرمز الاستفهامي من العلامات التي وضعها المستشرق الروسي ف. فلياميتوف زرنوف، ولعله عنى به أن الاسم ضبط غلطاً صحيحه [مانشست، فما نشست اسم جبل في مقدم جبل كبيركوه (گەورەكو) على ضفاف نهر صيمره].

أتابك تكله، وخرج إليهم، فذهب به الأمراء إلى تبريز[٣٤] وأحضر بين يدي هلاكو خان فلم يكن منه بعدما استفسره عن أسباب فراره، وبعد أن أثبت عليه الحرائم، إلا أن أصدر الأمر بقتله. ثم بذل رجال تكله الجهود لسرقة نعشه، وحملوه سراً إلى لرستان فواروه في التراب في زرده[٣٥].

٤- أتابك شمس الدين ألپ أرغون[٣٦]

لما استشهد أخوه، أنيط به زمام الحكم في لرستان بأمر من هولاكو خان فتولى إدارتها خمسة عشر عاماً عمر خلالها الولاية بالعدل والرحمة، ثم قضى نحبه معقباً ولدين: هما يوسف شاه وعماد الدين پهلوان.

٥- أتابك يوسف شاه بن ألپ أرغون

لما قضى والده نحبه أنعم عليه أبقا خان بن هلاكو خان[٣٧] بحكومة لرستان، فتقلد زمامها بعزم[٣٨]، بيد أنه ما فتيء يلازم أبقا خان مع مئتي فارس من أشياعه

---

(٣٤) تبريز: مدينة شهيرة بالشمال الغربي من بلاد إيران، ومركز مقاطعة آذربيجان الإيرانية. يبلغ سكانها سبعين ومئة ألف نسمة، وكانت مدينة كبيرة زاهية زاهرة بالسكان والعلوم حتى في زمن المغول، غير أن الخراب خيم عليها ابتداء من تصادم العثمانيين والصفويين عدة مرات بها.

(٣٥) أو (دزرو، دروه) كما وردتنا في نسختين خطيتين [م. عوني] [أقول: ان زرده هي اليوم قرية تقع في ناحية فراهان التابعة لناحية خرم آباد بمسافة ٣٠ كم جنوب كوه دشت].

(٣٦) لما قتل هلاكو خان مظفر الدين أتابك تكله أسند إيالة لرستان إلى أخيه أتابك شمس الدين ألپ أرغون، وأمر بانسحاب الجيش منها. فلما قدم أتابك الجديد لرستان وألفى أكثر جهاتها يباباً بلقعاً قد دمرها المغول وهجرها السكان خوفا على أنفسهم واحتموا بقلل الجبال، لم يكن منه إلا أن عني بتعميرها وإصلاح مافسد منها، فتألب عليه خلق كثير من السكان المهاجرين، وعاد إلى البلاد عمرانها، وعمها الرفاه والرخاء. وكان أتابك نفسه يشتي في أنحاء مدينة إيذج وسوس وشوشتر، ويقضي صيفه في الجبال التي ينبع منها نهرا شوستر وزنده رود حيث المياه الباردة الرقراق، والرياض الفردوسية الغن والمروج الخضر والمراعي الخصبة .

(٣٧) أبقا خان بن هلاكو خان: تولى السلطنة بمراغة بدل أخيه الذي مات سنة ٦٦٢هـ، وكان أحسن من والده. توفي سنة ٦٨١هـ بهمدان مسموماً، فتولى مكانه أخوه أحمد خان بمراغة. وهو الذي تزوج بنت قيصر القسطنطينية التي كان طلبها والده هلاكو قبل وفاته [محمد علي عوني].

(٣٨) كان توليه الحكم بحسب الفرمان الذي منح إياه بعد شهرين من وفاة أخيه.

ويدير شؤون حكومته على يد نوابه. ولما خدم أبقا خان في بعض الحروب والمعارك خدمات جليلة[٣٩] كافأه بمنحه خوزستان و كوه گيلويه[٤٠] وشهر فيروزان[٤١] وجربادقان[٤٢].

فلما لقي أبقاخان حتفه، اختار ملازمة أحمد خان[٤٣] حتى توفي، ثم لازم أرغون خان[٤٤] فعني به كأسلافه[٤٥]. حتى أنه وجهه إلى إصفهان[٤٦] لاحضار خواجه

---

(٣٩) هي أنه اشترك بجيش لرستان في المعركة التي جرت بين أبقاخان وبين بوراق خان، وأبدى أعمالا جليلة، ثم سار مع أبقاخان إلى گيلان، وبلاد الديلم. وفيما حمل بعض مجازفي الديلم على أبقا خان، وحاصروه أسعفه وأنقذه منهم ولما عاد من هذه السفرة، ذهب إلى كوه گيلويه، وزحف على عشيرة شول الكردية في ناحية مامسينى، فقتل حاكمهم وشتتهم شذر مذر.

(٤٠) كوه گيلوي: هي المنطقة الواقعة بين سوسا وفارس. ويظهر أنها كانت موطن كورش الكبير= كيخسرو وهي اليوم ناحية تابعة لقضاء بهبهان تتألف من عشر مجموعات قروية تحوى ٣٩ قرية سكانها ٨٥ ألف نسمة من عشائر بويرأحمدى شمس ژيارى، وغيرهما من الطوائف اللريه.

(٤١) كانت مدينة صغيرة ذات أنهار وأشجار وبساتين لم يبق لها اليوم أثر؛وكانت في القرن الثامن الهجري مدينة كبيرة على شاطىء زاينده روز وعلى بعد ستة فراسخ من إصفهان.

(٤٢) جربادقان (معرب گول پادگان = گولپايگان)، بلدة بجوار همدان من جهة إصفهان، وكذا قصبة طبرستان بين أستراباد وبين جرجان.

(٤٣) أحمدخان، هو السلطان أحمد خان بن هلاكو خان بن جنكيزخان. تولى السلطنة بعد وفاة أخيه أبقاخان سنة ٦٨١ هـ. وكان اسمه نكودار قبل أن يظهر إسلامه ويشجع أتباعه على الدخول في الإسلام، حتى نفر التتر في الأخير منه وحاولوا تولية أرغون خان بن أبقا خان بدله. وبعد محاربات طويلة قتل في إحدى المعارك الثورية [محمد علي عوني].

(٤٤) هو أرغون خان بن أبقا خان بن هلاكو خان، ثار على عمه السلطان أحمد في سنة ٦٨٢ هـ فانتصر عليه بعد عدة معارك دامية، فقتله، وتولى السلطنة بعده.

(٤٥) جاء في تأريخ عمومي(٢ - ١٩٨) أن العلاقات كانت متوترة بينه وبين أرغون شاه، لدخوله الحرب ضده إلى جانب السلطان أحمد خان، وكان قد إعتصم بجبال لرستان. غير أنه اضطر أخيراً أن يقصد أرغون شاه ويعتذر عما صدر منه.

(٤٦) إصفهان: مدينة شهيرة ومركز للمقاطعة المسماة باسمها ببلاد إيران، على مسافة ٣٣٥ كيلو متراً من جنوبي طهران. وبمثل هذه المسافة تبعد عن خليج فارس. وهي واقعة في هضبة لطيفة على نهر زنده رود، واتخذت عاصمة مراراً عديدة لدول متعددة. ويقال إنها محرفة عن كلمة سپاهان لكونها بادىء الأمر مقر العساكر السوارية، ومذكور بجغرافية بطليموس بعنوان أصپدانه.

شمس الدين محمد صاحب الديوان[٤٧] في المعسكر، فاتجه اليه، ولقيه في الطريق وهوقاصد المعسكر، فعاد معه إليه[٤٨] فما كان من أرغون خان إلا أن قتله.

ولقد أنشد أحد الفضلاء في رثائه:

از رفتن شمس، از شفق خون بچكيد مه روى بكند وزهره گيسو ببريد
شب جامه سيه كرد، در آن مأتم وصبح برزد نفس سرد، وگريبان بدريد

(لمغيب الشمس، سال من الشفق الدم القاني، وخدش البدر وجهه، وقطعت الزهرة زلفاً. وأدلهم قميص الليل في مأتمه، ونفث الصبح زفرات باردة، وشق الجيب).

ثم إن أتابگ يوسف شاه رجع في أواخر أيام حياته إلى لرستان بإجازة من أرغون خان، وذهب منها إلى كوه گيلويه. وبينما هو في طريقه، رأى ذات ليلة رؤيا مخيفة، فعاد أدراجه، فلم يمر زمن كثير حتى أدركته المنون سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٥م) تاركاً ولدين هما أفراسياب وأحمد.

٦- أتابك أفراسياب بن يوسف شاه

حل بأمر من أرغون خان محل أبيه، فأبقى أخاه أحمد يلازم أرغون خان، وقدم لرستان. وكان جباراً فسلك سبيلاً غير مرضي، فظلم واعتسف، وأخذ يتجنى على وزراء أسلافه[٤٩] حتى أخذ كلاً منهم بجناية، فعاقبهم، واستصفى أموالهم، وأبادهم عن بكرة أبيهم. قصد جمع من أقاربهم وأشياعهم إصفهان سراً، فلما أدرك ذلك سير ابن عمه پدر قزل في أثرهم إلى إصفهان ليقضي على كل من يلقاه من

---

(٤٧) خواجه شمس الدين محمد صاحب الديوان: هو الوزير الشهير الذي تولى الوزارة ٣٠ عاماً بعهد هولاكو خان وابنيه أبقا خان والسلطان أحمد من الملوك الإيلخانية. قتل هو بتبريز مع أربعة من أولاده سنة ٦٨٣ هـ بأمر من أرغون خان وكان عالماً فاضلاً؛ وشاعراً مجيداً. وهو مؤلف رسالة الشمسية في المنطق [محمد علي عوني].

(٤٨) يقول السيد محمد أمين زكي بك، إن يوسف شاه حين سار للاتيان بخواجه شمس الدين صاحب الديوان قصده في لرستان حيث تزوج بابنته أولاً، ثم أسره وأرسل به إلى أرغون خان.

(٤٩) ورد في تاريخ الدول والإمارات الكردية ص١٤٣ ج٢: أنه كان يلقي القبض على رجال هزار اسب ووزرائه أمثال خواجه نظام الدين: وجلال الدين... الخ.

المنهزمين. وفي هذه الآونة شاع نبأ وفاة أرغون خان فاتفق قزل مع لغر شاه، وقتل الرجل المدعو(بايدو)[٥٠] الذي كان نائب السلطان «شحنة» في إصفهان، وأمر بقراءة الخطبة باسم أفراسياب، وأعلن أفراسياب تفرده بالملك ورشح طائفة من أخص أقاربه لتولي الحكم في بلاد العراق[٥١] وصمم على احتلال عاصمة المغول[٥٢]، فسير جلال الدين بن أتابك تكله على رأس جيش عرمرم إلى مضيق گرهرود[٥٣] كاحتياط، فما بلغوا تلك الحدود حتى التقوا بمئات من المغول، فدارت بين الفريقين رحى معركة عنيفة انتصر فيها جيش اللر، وانهزم جيش المغول، فانقضوا على دورهم، وانصرفوا إلى اللهو والترف والمجون، والتمتع بما خلفوه.

وبينما هم كذلك هاجت غيرة المغول فكرُّوا عليهم وأبادوهم عن بكرة أبيهم، حتى قيل إن احدى نساءهم قضت على عشرة رجال. فلما بلغ هذا الخبر المعسكر، وأدرك كيخاتون[٥٤] طغيان أفراسياب، أنفذ الأمر إلى طولداي يداجي أن يسير بفيلق من الجيش المغولي، وقوات حكام اللر الصغرى البالغة عشرة آلاف فارس للقضاء على أفراسياب. فلما أغار عليه الأمير طولداي وجرت بينهما مناوشات وحروب[٥٥]،

---

(٥٠) بايدوأوغل بن أبقا خان: كان أخوه السلطان أرغون قد فوض إليه زمام ولاية العراق العجمي، ثم لما تولى السلطنة، جعله نائبه في إصفهان.

(٥١) وكان قد عين من أقاربه حكاماً يتولون الأمور في همدان وفارس إلى الخليج.

(٥٢) المغل أو المغول قبيلة من التتر كانت تقيم حول بحيرة بيقال في جنوب سيبيريا. وكانت تعيش كسائر القبائل الرحل على النهب والغزو والصيد والقنص. ولم يكن لها شأن يذكر ولا حضارة حتى ظهر جنگيزخان في أوائل القرن السابع للهجرة . وكانت نفوسها زهاء أربع مئة ألف نسمة، في أربعين ألف خيمة.

(٥٣) گرهرود، گرمرود، لعله كوه رود وهي سلسلة جبال تمتد من كردستان بين فارس وكرمان إلى جبال پشت بام ببلوجستان حيث يبلغ علوها فيما بين إصفهان وكاشان ٣٠٠٠ متراً [م.عوني].

(٥٤) كان السلطان كيخاتون هذا، قد تولى السلطنة عام ٦٩٠ هـ بعد موت السلطان أرغون، غير أنه كان سيء الإدارة، فاضطربت أمور المملكة من سوء أعماله، فثار بايدوخان عليه، وغلبه وقتله سنة ٦٩٤ هـ.

(٥٥) إن أفراسياب لما أدرك عدم كفايته للمقاومة، انسحب بجيشه، وتحصن في قلعة مانشست فقتل خلق كثير من اللر، واعتصم قسم منهم بالكهوف وقمم الجبال، فنهب جيش المغل بلاد اللر ودمرها. ثم حاصر قلعة مانشست، فلم يقاوم أفراسياب تحرزاً وسلم نفسه إلى جيش المغل، فبعثوا به إلى العاصمة.

ظفر به فأسره، وأتى به إلى كيخاتو خان، بيد أنه لبى شفاعة كل من أروك خاتون و بادشاه خاتون الكرماني[٥٦] فشطب بقلم العفو على جرائمه، ومنحه لرستان مرة أخرى. فخلف أفراسياب أخاه أحمد في ملازمة كيخاتون، وقفل بنفسه راجعاً نحو لرستان. وما إن بلغها إلا وأنفذ القتل من غير داع في ابن عم له مع جمع من الأمراء والأعيان. فلما تولى غازان خان[٥٧] السلطنة قدم إليه أفراسياب، فأقره على حكم لرستان. ثم لما اتجه إلى بغداد في سنة ٦٩٥هـ ١٢٩٥م، جاءهُ أتابك أفراسياب مرة أخرى من حدود همدان، فشمله بعطفه. ثم عاد نحو لرستان، إلا أنه صادف في طريقه الأمير هور قوداق[٥٨] العائد من فارس قاصداً غازان خان. فما كان منه إلا أن كلفه الرجوع معه، وأرغمه على ذلك. فلما حضرا بين يدي غازان خان، أخذ هور قوداق يعدد مساوئه ويشرح أطواره الفظيعة، وبالغ في ذلك حتى أوغر صدر غازان عليه، ففتك به[٥٩].

---

(٥٦) پادشاه خاتون كرماني: هي سادس ملوك القره خطائية الذين تولوا الملك بكرمان في عهد الجنگيزيين، وهي بنت السلطان قطب الدين وزوجة بايدوخان من ملوك الإيلخانية. تولت الحكم بكرمان سنة ٦٩١ هـ بفرمان من بايدوخان بعد قتل أخيها سيورغتمش.

(٥٧) غازان خان بن أرغون خان بن هلاكو خان بن تولي خان بن جنگيز خان: سابع ملوك الإيلخانية التي تولت الحكم في إيران دخل في الإسلام سنة ٦٩٤ هـ وسمى نفسه محمود خان، وحارب ابن عم والده بايدو خان الذي كان جالساً على عرش آبائه وأجداده. فهزمه في نخچوان، واستولى على السلطنة. وبعد تسع سنين مضت من حكمه، توفي سنة ٧٠٣ هـ بجوار قزوين، ونقل نعشه إلى تبريز ودفن بالمدفن المسمى بشنب غازان. وكان رجلاً عادلاً عالماً.

(٥٨) في نسختين خطيتين: سورقوداق [محمد علي عوني].

(٥٩) كان مقتله عام ٦٩٦ هـ ١٢٩٦م، وقد جاد في خلاصة تأريخ الكرد وكردستان(١ - ١٦٨): أن غازان خان هذا قتل من أكراد الجبل نحو خمسين ألف نسمة، ودمر بلادهم ونهبها، حتى كان الشاب البالغ يباع باثني عشر درهماً، والعجل بخمسة دراهم، والشاة بدرهم واحد، كل ذلك لانحيازهم إلى الأمير نوروز. وجاء في ص(١٠٦) من كتاب تأريخ غازاني باللغة الفارسية مايلي: في أوائل ذي القعدة من سنة ٦٩٥ هجرية حين كان غازان يتجه نحو بغداد وقد عسكر في مرج (مرگ) من همدان، كان (هورقوداق) يرجع من جباية منطقة فارس، وقد التقى في طريقه بالأمير «أتابك أفراسياب» أمير لرستان، الذي كان قد نال أعطاف غازان خان، وهو يعود إلى لرستان، فأرجعه هو قوداق إلى معسكر غازان وجاء به لمحضر السلطان، فلما استفسر منه السلطان عن الوضع في (فارس) أجابه قائلاً: ابدأ أولاً بالكلام عما صدر من هذا التازيك

٧- أتابك نصرة الدين أحمد بن يوسف شاه بن ألب أرغون

لما قتل أخوه، رجع بأمر من غازان خان إلى لرستان، واعتلى كرسي الإيالة ففتح أبواب العدل والرحمة، وأنعش سكان تلك البلاد، وأزال غبار الظلم والجور، ورغب الناس في تحصيل العلوم الشرعية وتعميمها[٦٠]. فتمتع بالحكم على هذا النمط زهاء ثمان وثلاثين سنة. فلما حلت سنة ثلاث وثلاثين و سبع مئة هـ (١٣٣١م) أدركه الأجل مخلفاً ابنه يوسف شاه الذي أصبح بعده حاكم لرستان.

(سلاقي) فإني حين قصدت فارس ومررت بمنطقة اللر، لم يستقبلني، وحين بعثت أحد الجباة لجمع الضرائب في منطقة «كوه گيلويه» أثار عليه عددا من خواصه، قالوا له إننا تملكنا هذه المنطقة بحد السيف وأوقعوا به، واتسع الخرق حتى أدى إلى مقتل «بايدو» رئيس شرطة إصفهان وحملوا بقواتهم على إصفهان وفيروزان وقاموا بحركات أخرى...» فأدت وشايات هورقوداق إلى سخط السلطان غازان فأمر بقتل أفراسياب خان.

(٦٠) كان قد أناب عنه في الحكم قطب الدين بن عمادالدين بهلوان لإدارة شؤون البلاد، وأسند رئاسة الجيش إلى خسرو شاه ابن الملك حسام الدين، وأكرم العلماء والفضلاء، وقربهم إليه، فألفوا كثيراً من الكتب باسمه مثل «معيار نصرتي» لمؤلفه شمس فخري إصفهاني، «وتجارب السلق» لمؤلفه هندوشاه بن سنجر عبدالله الصاحبي الليراني من مدن آذربايجان بين تبريز وبيلقان، وكتاب روح الجنان في سيرة الشيخ روزبهان» تأليف شمس الدين عبداللطيف بن صدر الدين محمد روزبهاني ثاني وكتاب تجارب الأمم في أخبار ملوك العرب والعجم ترجمة كتاب نهاية الأدب في أخبار الفرس والعرب تأليف حمدالله المستوفي القزويني، وكتاب تحفة گويا لمؤلفه شرف الدين فضل الله بن عبدالله الحسيني القزويني وكتاب الترسل العصرية نظما ونثرا للمؤلف نفسه والتاريخ المعجم في أحوال ملوك العجم ألفه فضل الله القزويني له. وقد شيد أربع مئة وستين مدرسة، أربع وأربعون منها في مدينة إيذج، والبقية في سائر البلدان، وبين العشائر الرحل، وكان ينفق عليها ثلث خراج الدولة، ويجب ألا ننسى أن حافظاً الشيرازي - خواجه شمس الدين محمد بن كمال الدين الذي نزح أبوه من بلدة (تويسر كان) من بلاد اللر الكبرى إلى شيراز، وأنجبه بها، في حي شيدا، كان من شعراء الملك نصرة الدين أحمد. وقد مدحه كثيراً وأورد اسمه في فصلي الدال والهاء في قوله: **كرنبودي شاه يحيى نصرةالدين أزكرم (لو لم يكن كرم السلطان نصرة الدين)** وقوله: **«فلك جنيبه كش شاه نصرة الدين است بيابين ملكش دست در دكاب زده» (ان الفلك يجر زمام مركب الشاه نصرة الدين، تعال وانظر إلى أيدي الملك في ركابه...)**.

٨- أتابك ركن الدين يوسف شاه بن أحمد

حكم لرستان زهاء ست سنين[٦١] لم يألل خلالها جهداً في مراعاة العدل والإنصاف ومعاملة الشعب بلطف وإحسان[٦٢]. أما وفاته، فكانت في اليوم السادس من جمادى الأولى لسنة ٧٤٠هـ ١٢٣٩م فحمل ملازموه نعشه إلى المدرسة المعروفة باسم ركن آباد[٦٣] فدفنوه فيها[٦٤].

٩- مظفرالدين أفراسياب أحمدبن يوسف شاه[٦٥]

لما توفى أبوه، تتوج بتاج الحكم على لرستان. في أيام حكمه لمع لواء الأمير تيمور گورگان البدري[٦٦] على البلاد، تدرج في غزو الدول، وفتح لرستان كأمثالها من بلاد إيران، لكنه أعادها إلى مظفرالدين أفراسياب يوم الاثنين للثالث والعشرين

---

(٦١) إذا نظرنا إلى تأريخ توليه الحكم، بعد وفاة أبيه، ظهر لنا أنه حكم سبع سنين أو مايقاربها. ولكن ابن بطوطة يقول في رحلته (١ - ١٢٢) «إن أتابك يوسف شاه تقلد الحكم زهاء عشر سنوات».

(٦٢) وقد اتسمت حدود مملكته حتى ضم إليها البصرة وخوزستان وفيروزان وغيرها.

(٦٣) لقد وصف حافظ الشيرازي هذه المدرسة وماءها الرقراق بقوله:

بده ساقى، مى باقى كه درجنت نخواهى يافت
كنار آب ركن آباد و گل گشت مصلارا

[هات يا ساقي الخمرة الخالدة، فإنك لاتجد في الجنة شاطىء ركن آباد ولا رضوان مصلا] كما ألمع إلى يوسف شاه نفسه بقوله: (من از آن حسن روز افرون، كه يوسف راست دانستم)، [لقد علمت من حسن يوسف الفائق على حسن الشمس... الخ].

(٦٤) لقد زار إبن بطوطة الرحالة المعروف لرستان على عهد يوسف شاه فأطرى في وصف الأعمال الجليلة التى قام بها والده «أتابك نصرة الدين» من إنشاء الآثار الخيرية مابين مدارس وزوايا وفتح الطرق في الجبال الوعرة وتأسيس المضايف والمنازل للمسافرين في فصول الشتاء، في المناطق البعيدة عن القرى والمدن إغاثة للقيروانيين وأبناء السبل. ص ١٢٢ ج١ .

(٦٥) يقول ابن بطوطة وقد زار إيذج والتقى بهذا الأتابك نفسه: «أنه نجل أتابك نصرة الدين أحمد، وأخو أتابك ركن الدين يوسف شاه» .

(٦٦) أمير تيمور گورگان الشهير بتيمورلنگ، ولد سنة ٧٣٦ هـ بقرية كش بجوار مدينة سبز في ما وراء النهر. يقال: إنه يمت بنسب إلى الجنگيزيين. ولا غرابة في ذلك، فإن أعمالهم متحدة في القسوة والفظاعة [محمد علي عوني].

من جمادى الآخرة من سنة خمس وتسعين وسبع مئة ١٣٩٣م، وكانت وفاته بعد ذلك[٦٧].

١٠- أتابك پشنك بن يوسف شاه[٦٨]

لما انقضى عهد عمه، اعتلى كرسي الحكم مكانه[٦٩]. وبعد أن قضى في الحكم سنين، لقي حتفه[٧٠]، وحل ابنه أحمد مكانه.

١١- أتابك أحمد[٧١]

وضع تاج السلطنة على هامته، غير أن لرستان تقلصت على عهده شيئاً فشيئاً وخيم عليها البوار[٧٢].

---

(٦٧) يقول مولف تاريخ عمومي(٢.١-٥) أنه توفي سنة ٧٩٥ هـ - ١٣٩٣م. ولكّن الشيخ محمداً الخضري يذكر أن أيام حكمه انتهت سنة ٧٥٦ هـ - ٣٥٥ م. ولايخفى الخطأ .

(٦٨) لقد ذكر الشيخ محمد الخضري في محاضرته أن اسمه شمس الدين هوشنگ، وأنه ابن مظفر الدين أفراسياب .

(٦٩) يقول السيد محمد أمين زكي بك، أنه تولى الحكم مكان نور الودود الذي بلغ في الاسراف والتبذير حدا قضى معه على الخزينة الأتابگية في مدة وجيزة .

(٧٠) يقول مؤلف تاريخ عمومي (٥ -٢.١)، أنه قضى أيام حكمه بالعدل، ولكن السيد محمد أمين زكي بك أورد في كتابه(٢-١٤٦) مايخالفه، إذ يقول إن البلاد أصيبت في عهده بخسائر فادحة من جراء الحروب التي حدثت بينه وبين آل المظفر حيث أن الشاه منصور المظفري كان قد اتخذ شستر قاعدة لأعماله الحربية، يغير منها على لرستان مراراً عديدة، غير أنه تخلص من تعرضاته بفضل الشاه شجاع الذي كان ينافس أخاه الشاه منصور. يؤيد هذا بعض النقود المعثور عليها في إيذج وقد ضربت باسم الشاه شجاع في سني (٧٦٢-٧٦٤ هـ).

(٧١) أورده مؤلف (تأريخ الدول والإمارات الكردية) بعنوان پير أحمد، وقال: يظن بعض المؤرخين أنه ابن نورالدين وأخو هوشنگ.

(٧٢) وسبب ذلك أنه كانت العلاقات متوترة بينه وبين شخص من أسرتهم يدعى الملك هوشنگ فحاربه وقتله فتعرض له على ذلك الشاه منصور المظفري وأجلاه عن لرستان. ونصب أحد أعيان العشيرة اللرية حاكما مكانه. وفيما اجتاز الأمير تيمور الأعرج ببلاد لرستان سنة ٧٩٥هـ-٣٩٣م خف إليه پير أحمد وحظي بزيارته في رام هرمز كما قصده في شيراز مرة أخرى، فأكرمه الأمير تيمور وأعاد إليه المملكة الوراثية، كما أعاد عشيرة اللر التي أقصاها الشاه منصور من بلادها-

١٢- أبوسعيد بن أحمد

تولى الحكم بعد أبيه ببضع سنين[٧٣] ثم التحق بجوار ربه سنة سبع وعشرين وثمان مئة ١٤٢٤م.

١٣- أتابك شاه حسين بن أبي سعيد بن أحمد بن پشنك بن يوسف شاه

تولى الشاه حسين السلطنة مدة من الزمن، بيد أنه لم تحل سنة سبع وعشرين وثمان مئة (١٤٢٤م) حتى قتل على يد غياث الدين كاوس بن هوشنك بن پشنك[٧٤]. فلما أدرك ميرزا سلطان إبراهيم بن ميرزا شاه رخ، ذلك سير جيشا ونزع المملكة منه وأقصاه. هذا ولم يتقلد السلطنة بعد عهده أحد من هذه الأسرة[٧٥].

E

دل درين پيرزن عشوه‌گر دهر مبند

كين عروسيست، كه در عقد بسى داماداست

[لاتعلق القلب بعجوز الدهر المغناج؛ فإنها عروس عقد عليها النكاح أصهار كثيرون].

وكانت ألفي بيت فصاعداً، إلى لرستان وحمل معه كلا من أفراسياب أخي پير أحمد والشاه منصور إلى سمرقند كرهينتين لديه. وأخيراً قسم لرستان بين أفراسياب وپير أحمد. ولما توفي الأمير تيمور، أسر محمد پير أحمد في كوهان دز، بيد أنه ما حلت سنة ٨١١ هـ -١٤٠٧م إلا ونظم إدارة لرستان، غير أنه صار ضحية ثورة داخلية أضرمت نارها.

(٧٣) وقد كان باقياً قبلئذ نحو سنتين في شيراز كرهينة.

(٧٤) يقول السيد محمد أمين زكي بك: «إن غياث الدين من اسرة الشاه حسين، غير أنه حاربه، وتولى الملك بعد مقتله». ويقول مؤلف تاريخ عمومي: «إنه كان ابن عم الشاه حسين، وتولى الحكم بعد وفاته...» ولم يشر إلى محاربته معه، أو حادثة قتله.

(٧٥) بل انتقلت هذه الحكومة من الأسرة الفضلوية إلى رؤساء عشائر البختيارية كما نبين ذلك في ختام الفصل الرابع.

الفصل الرابع

في تراجم ولاية[1] اللر الصغرى[2]

لقد قدمنا في البحث عن مقام اللر وسبب تسميتهم باسم اللر انهم كانوا قبلا يقطنون وادي گول مانرود حتى ازداد سكانه، واكتظ بالناس، فنزحت كل طائفة إلى ناحية، ودعيت باسمها. كما أنه كان في وادي «گول» المذكور فرقتان تدعيان جنكروي واتروي.

أما القبائل اللرية التى ليس لها مقام في وادي گول المذكور، فلا تعد من اللر الأصلية ولها شعب كثيرة مثل كركسي[3] و لنبگي وروزبهاني[4] وساكي وشادلويي وداود عياني[5] و محمد كوماري.

هذا وأما فرقة (جنگرويي)التي تتولى الإمارة على اللر الصغرى والمنتخبة من بينهما، فهي من شعبة سلبوري[6]. ومن الشعب السائرة لهذه القبائل: كارانه و زرهنگرى وفضلى وستوند وآلانى وكاهكاهي[7] ورخوارکي ودري وبرارند ومانگه

(١) الظاهر أن كلمة (ولاية) هذه جاءت بدل (ولاة) سهوا.

(٢) لقد حدد إسكندر منشي لرستان الصغرى قائلاً: «إنها تقع في جنوبي عراق العجم وتمتد عرضاً من همدان وأنحاء علي شكر حتى خوزستان. أما طولاً فتمتد من مدينة بروجرد حتى تخوم بغداد والعراق العربي وتنيف مساحتها على مئة فرسخ. ومن مدنها خرم آباد والشه وصدمره وخاوا وهزفين وغيرها.

(٣) كرسكي: ضبطها في (تأريخ الدول والإمارات الكردية) باسم كروهي.(ولعلها گروسى).

(٤) تعرف هذه القبيلة اليوم باسم روژبياني وهي قبيلة مشتتة، يسكن قسم منها اليوم في العراق ضمن الوية كركوك وأربيل والموصل وديالى. وللتفصيل يراجع كتابي (فذلكة تأريخية عن عشيرة روژبياني).

(٥) لعلها عشيرة داودي الحالية القاطنة في قضائي طاوق وكفري بلواء كركوك .

(٦) ضبطها السيد محمد أمين زكي باسم سلغري قائلاً: «هذه العشائر، هي أصل اللر الصغير حيث كانت الإمارة فيهم، وهي من فرع السلغريين.

(٧) تعرف اليوم باسم الكاكائية = كاكه يي، وهي عشيرة ذات بأس وقوة تقطن في قضاء طاوق

دار وأناركى وأبو العباسي وعلى مامسي[٨] وكيجاي[٩] و سلكي[١٠] وخودكي وندروي[١١] وغيرها من القبائل المتشعبة.أما عشائر سامي و أسپان وسهى[١٢] وأركي[١٣] فانها وإن كانت تتكلم اللهجة اللرية، لكنها ليست اللر الأصلية ولا من ملحقاتها، إنما هي من القرويين (روستاى)[١٤] ولم يكن لهذه العشائر حتى حدود سنة خمسين وخمس مئة (١١٥٥م) زعيم خاص يحكمها بالاستقلال التام ، وانما كانت تابعة لدار الخلافة بغداد رأساً وخاضعة لأوامرها.

ثم لما أنيطت أمورهم بديوان سلاطين العراق، تولى حسام الدين شوهلي، وكان من الأتراك الأفشارية التابعة للسلاجقة، الحكم على هذه الأصقاع وقسم من خورستان، فتقرب إليه من قبيلة جنگروي كل من محمد وكرامي ولدي خورشيد[١٥] فأحرزا المناصب العليا. ثم ظهر من نسلهما أولاد وحفدة ذوو فطنة وكفاية منهم شجاع الدين خورشيد الذي نحن بصدد البحث عنه.

وفي هذه الأيام نفسها كان سرخاب بن عيار[١٦] الذي مرت نبذة من ترجمته

بلواء كركوك ولها فروع أخرى في لوائي ديالى والموصل، ولكنها تحمل عناوين وأسماء شتى.

(٨) ضبطها السيد محمد أمين زكي بعنوان علو ماني.

(٩) كيجاي: تعرف هذه القبيلة اليوم باسم گيژ وهي قاطنة في ناحية قره تبه ضمن قضاء كفري .

(١٠) ضبطها السيد محمد أمين زكي بك بعنوان سلسكي .

(١١) ضبطها المومأ إليه بعنوان بندوئى .

(١٢) ضبط المؤلف المذكور الكلمتين : أرسان، ساهى .

(١٣) تعرف هذه العشيرة اليوم باسم هركي وهي عشيرة كبيرة رحالة، تقطن ضمن لواء أربيل.

(١٤) لعله يعني أنهم من فرع گوران إذ كانوا يدعون الرحل لراً، ومقيمي القرى والقصبات گوران.

(١٥) يظهر من أقوال السيد حزني أن خورشيد هذا، كان من عشيرة حسني = حسنوند = حسنويه الكردية وأن حكومة لرستان الصغرى سميت خورشيدية نسبة إليه. وجاء في دائرة المعارف أن رجلاً اسمه خورشيد كان يتوزر لحكام لرستان قبل أن تتشكل حكومة اللر الكبرى ولا عجب في أن تمت هذه الأسرة له بصلة. هذا ولقد سمى إسكندر منشي هذه الحكومة عباسية، وقال، كانت الأسرة الحاكمة في لرستان محترمة إلى حد بعيد، وكانوا يدعون أنهم يمتون بصلة النسب إلى العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولكن ادعاءهم هذا باطل، ولعل نسبته إلى الخلافة العباسية جاءت من أنهم كانوا من مؤيديها.

(١٦) يعني سرخاب بن بدر بن أبي الماجد مهلهل بن محمد بن عيار، أخا أبي الشوك سادس أمراء بني عيار المذكورين، ولكن ذلك خطأ فقد توفى عام ٥٠٠ هجرية (١١٠٦ميلادية) كما ذكره

يلازم حسام الدين شوهلي هذا. وفيما كانوا ذاهبين ذات يوم إلى القنص، حدثت بينه وبين شجاع الدين خورشيد منازعة حادة بشأن أرنبة فأسفرت عن أن يسل كل منهما سيفه على الآخر، إلا أن حسام الدين شوهلي بادر إلى فض النزاع بينهما، ولكن لم تزل نار البغضاء تتقد في قلبيهما. ثم بعد أن مضت مدة من الزمن على هذه الحادثة، أناط حسام الدين شوهلي محافظة «شحنيكة»، قسم من ولاية اللر الصغرى بشجاع الدين خورشيد، وأعاد قسماً منها إلى الأمير سرخاب بن عيار. وفي تلك الآونة كان يحل بسكان الولاية المذكورة الظلم الكثير من جهة العراق، ففكر الشعب اللري كافة في صد هذه التيارات التي أزعجتهم، وحكموا فيما بينهم شجاع الدين خورشيد ووعدوه ألا يخالفوا أمره إلى أن يدفع عنهم هذه الاعتداءات، وأعطوه بذلك كتاب عهد. واتفق أن أدركت المنون حسام الدين شوهلي في تلك الأيام، فاستقل شجاع الدين خورشيد بحكومة تلك البلاد، وأخذ يتدرج في إجلاء سرخاب بن عيار من هذه الديار شيئاً فشيئاً، ويستولي على الأملاك الخاضعة لتصرفه. حتى أبلغه حداً رضي معه أن يسند اليه محافظية مانرود تحت إمرته. وهكذا استتب له الأمر في لرستان الصغرى بصورة كاملة[١٧].

أ- الأسرة الخورشيدية

١- شجاع الدين بن[١٨] خورشيد بن أبي بكر بن محمد بن خورشيد

لما أرادت المشيئة الإلهية أن تذعن ولاية لرستان الصغرى له، ويوطد له أمر الملك

المؤلف نفسه، فلا يعقل مصاحبته لحسام الدين شوهلى، ولا يبعد أن يكون أبو منصور آخر الأمراء العباسية قد خلف ولدا مسمى بأسم جده فصاحب حسام الدين شوهلي ونازع على إمارة لرستان شجاع الدين خورشيد.

(١٧) جاء في تاريخ عمومي ٥-٢٠٢: أن هذه الحكومة تأسست عام ٥٧٠هجرية-١١٧٤ميلادية، ويؤيده في ذلك السيد محمد أمين زكي بك، بيد أن السيد حسين حزني يدعى أنها تأسست سنة ٥٩١هجرية-١١٩٥ميلادية . أما عاصمتها فكانت مدينة خرم آباد.

(١٨) هكذا في الأصل الفارسي، والصواب شجاع الدين خورشيد بحذف كلمة ابن، لأن شجاع الدين هو لقب خورشيد اسم ابنه يؤيد هذا ما مر من المؤلف آنفاً كما ورد مثله في كل من تاريخ عمومي وتأريخ الدول والإمارات الكردية وتأريخ لرستان.

فيها، لم يكن منه إلا أن سير ولديه بدراً وحيدرَ لمحاربة فرقة جنگروي[١٩] إلى ولاية «سمها» فلما ذهبا اليها وحاصرا قلعة دزسياه قتل ابنه حيدر في أثناء الحصار. فلما أدرك ذلك، احتدمت ثورة غضبه فأخذ يقتل كل من يلقى القبض عليه وبالغ في قسوته مبالغة أضجرت العشيرة من سوء صنيعه، فتخلت عن مانرود بكاملها له. وبعد مدة استدعت دار الخلافة شجاع الدين خورشيد وأخاه نورالدين محمد وطلبت منهما أن ينزلا لها عن قلعة[٢٠] مانگره، غير أنهما أبيا ذلك فألقيا في السجن، فتوفي نورالدين فيه، موصياً أخاه ألا يفقد ذلك الحجر الاساسي، فوعى شجاع الدين وصية أخيه، ولبث مدة غير وجيزة في السجن، وأخيراً ظهر له أنه لو لم يتخل عن القلعة،لم يتمكن من الخلاص من الغل، فاضطر حينئذ أن يتخلى عنها، ويستعيض عنها من دار الخلافة بقلعة أخرى، فأعطاه ديوان الخلافة ولاية طرازك[٢١] التابعة لخوزستان عوضاً عن قلعة مانگره المذكورة، وأطلق سراحه فرجع إلى لرستان وظل يحكمها زهاء ثلاثين سنة أخرى.

كان شجاع الدين قد طعن في السن وأدركه الخرف فصار بحيث لايميز بين الخير والشر، وكان ابنه بدر وابن أخيه سيف الدين رستم بن نورالدين محمد يحضران عنده

---

(١٩) ذكرت في كتاب تأريخ الدول والامارات الكردية (٢-١٥) باللفظ نفسه، أنها كانت خاضعة لسلطان سرخاب بن عيار الذي كان ينافسه. أما مؤلف تاريخ عمومي فيقول: «تولى صاحب الترجمة إمارة بعض المناطق في لرستان الصغرى بأمر من حسام الدين وأتى بأعمال جليلة أرضت خليفة بغداد أحمد الناصر لدين الله، فمنحه (چكي دوزن) كما أنعم عليه في تلك الأيام نفسها بلقب أتابك.

(٢٠) في تأريخ الدول والإمارات الكردية: أن دار الخلافة توسطت لحسم النزاع بين شجاع الدين خورشيد وسرخاب بن عيار وقررت أن يتخلى شجاع الدين عن قلعة مانگاره لمنافسه سرخاب على أن تكافئه بقلعة طرازك ومانگره اسم المنطقتين تابعتين لقضاء «خرم آباد» إحداهما تابعة لناحية ألوار گرمسيري، والأخرى تابعة لناحية أنديمشك التابعة لقضاء دزپل (دزفول) تشتمل الأولى على أعلى قمم الجبال.

(٢١) ولاية طرازك هي مقاطعة خوزستان نسبة إلى البندر والقصبة المسماة بطرازك [محمد علي عوني] (المعني هنا قرية ترازگ التابعة لناحية دلفان التابعة لقضاء خرم آباد على بعد ٤ كم من طريق كرمانشاه - خرم آباد.

ويتدخلان في شؤونه. واتفق في هذه الآونة، أن اخترق[٢٢] ملك بيات[٢٣] - وكان من الأتراك - حدود لرستان، وشن على السكان والأهلين غارات النهب والسلب، فنهض إليه بدر وسيف الدين رستم بجيش اللر، وتمكنا بعد المطاحنات العنيفة من قهره. وبهذا خضعت ولاية بيات لعشيرة اللر.

ولقد نصب شجاع الدين خورشيد كلا من ابنه بدر وابن أخيه سيف الدين رستم ولي عهد له على المملكة لكن سيف الدين خان عمه، إذ أغراه بابنه بدر قائلاً: «إن ابنك بدراً وعقيلتك قد اتفقا على أن يأتمرا بك فيقتلاك!». ولما كان قد خرف، تلقى كلامه بالقبول وأذن له بقتله، فأخذ سيف الدين رستم خاتمه، ليكون شاهداً لديه يبرزه عند الحاجة، وأنفذ القتل فيه[٢٤] وقد أعقب أربعة أولاد، هم: حسام الدين خليل، وبدر الدين مسعود، وشرف الدين تهمتن، وأمير علي.

ثم لما مر على مقتله ردح من الزمن، تفقده شجاع الدين وسأل: أين بدر؟ ومالي لا أراه؟ ففهمه بعض خاصته بما حدث له، فتحسر على ذلك، وسرى فيه الهم الشديد حتى قضي عليه في سنة ٦٢١ (١٢٢٤م). ويقال جاوز عمره المئة سنة[٢٥]، وإن

---

(٢٢) كان ذلك سنة ٥٩٠هجرية- ١١٩٣ ميلادية.

(٢٣) ولاية بيات: لعلها نسبة إلى بيد، هي مدينة في مقاطعة مكران واسم محل في فارس [محمد علي عوني]. وللعلم يقصد بالبيات المنطقة الواقعة بين پشتكوه ومندلي، استوطنتها البقايا المتبقية من عشائر بيات الغزية منذ عهد المغول فكانت تتجاوز على تخوم دولة لرالفيلية (پشتكوه) أحيانا وبقيت المنازعات الحدودية حتى عهد الشاه عباس الكبير، عندئذ قتل أحد أخوة شاه وردي أمير لرستان أوغورلوخان البيات، فنهض شاه وردي لمقاتلتهم وعمل فيهم مذبحة كبيرة، هجر القسم الكبير منهم إلى جنوبي كردستان حيث سكنوا مع البيات الموجودين في صحراء بين طوزخورماتو وجبل حمرين، فصارت في العهد العثماني الأخير وسطا بين عشائر العزة والعبيد المرحلتين إلى شمالي جبل حمرين في القرن الثاني عشر الهجري وقد جاءت بهما الدولة العثمانية إلى المنطقة لتقوية أبناء السنة ضد أبناء الشيعة. هذا وقد جاء ذكر موضعي (بيات) و(كريت) بتحقيق دقيق في حواشي العلامة محمد القزويني على جهان گشای جوينى المجلد الثالث.

(٢٤) في تأريخ الدول والإمارات الكردية: أنه علم أخيراً بخفايا هذه المؤامرة ولكن المنية لم تمهله بعدها فتوفي سنة ٦٢١ هجرية الأمر الذي يستنتج منه أنه لم ينجح في الفرية التي توسل بها للقضاء على بدر.

(٢٥) قضى أيام حياته ظاعناً، فكان يصيف في كربت ويشتي في دلوران من أعمال پشت كوه.

قبره أصبح مزاراً يتبرك به الشعب اللري لما كان يتصف به من العدل.

٢- سيف الدين رستم بن نورالدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن خورشيد

لما توفي شجاع الدين خورشيد، واستولى سيف الدين بعده على زمام حكم لر الصغرى مستقلاً، غادر حسام الدين خليل نجل بدر الأكبر بلاده إلى دار الخلافة (بغداد) وأقام بها. أما سيف الدين رستم، فقد انصرف إلى إحياء لرستان بالعدل والرحمة، وبث الأمن والأمان فيها، بحيث أصبح البحث عن عدله أحاديث الأندية والمجالس حتى إن إمرأة من سكان قرية واشجان أخذت على عهده تسجر التنور بالشعير عوضاً عن الحطب فاخترق هذا الخبر مسامع سيف الدين رستم، فأحضر المرأة التي قامت بهذا الحدث الفظيع وسألها: ما الذي بعثك على الإقدام على مثل هذه الجريرة؟ فأجابته:ليتحدث على ممر الدهور أن الرفاه والرخاء بلغا في عهدكم مبلغاً جعل النسوة يعتضن من الحطب بالشعير يسجرن به التنانير!فابتهج سيف الدين رستم بالكلمات التي نطقت بها، وأمر بالإنعام عليها بجائزة تطيب قبلها. ولقد ورد كذلك أنه كان في أيام حكمه بين شجعان اللر عصابة تقارب عدتها ستين نفراً يقطعون الطرق ويعيثون في الارض فساداً ويسلبون المارة حتى تعطلت من خوفهم القوافل. فكلما بذل حكام العراق وسلاطينها الجهد في استئصال شأفتهم وقطع دابرهم، ما نالوا منهم نيلاً، ويذهب سعيهم سدى. فنهض اليهم سيف الدين رستم، وتمكن من أسرهم جميعاً بعد حروب طويلة ، ثم على الرغم من وجود وسطاء كانوا يحاولون انقاذ كل شخص منهم بفدية قدرها ستون بغلة من لون واحد، لم يفك أسرهم، وقال: أأدعُ صفحات الأيام تسجل عليَّ أن سيف الدين كان يعتق قطاع الطريق المفسدين لقاء ثمن بخس دراهم معدودات؟ ونفذ فيهم العقاب.

بيد أن اللريين لما كانوا لا يتحملون هذا النوع من العدل، التفوا حول أخيه شرف الدين أبي بكر وأزمعوا على القضاء عليه. وفيما كان ذات يوم في الحمام، ووقف على مؤمراتهم به، أسرع بالرجوع حاسر الرأس، ولاذ بأذيال الفرار مع رجل من خواصه تخلصاً مما بيت له. بيد أن بعضاً من شعبه تبعه حتى جبل (كلاه). ولما صار بصعدة انحاز إليهم الرجل الذي صاحبه أيضاً، وأخذ يجري وراءه للقبض عليه. لكن سيف الدين رستم نجا منه، وتسلق صخرة كبيرة قعد عليها. إلا أن أخاه شرف الدين

أبابكر لم يدعه وشأنه، بل رماه بسهم، وأمر الأمير علي بن بدر - الذي كان يصطحبه - أن يحز رقبته، ثأراً لوالده[٢٦].

٣- شرف الدين أبو بكر بن نورالدين محمد

لما قتل أبو بكر أخاه في جبل كلاه ورجع إلى قومه، أخذ عقيلة بدر - وكانت والدة حسام الدين خليل- تهتبل الفرصة لتثأر لزوجها وتقتله، فسقته يوماً كأساً من الشراب ممزوجاً سماً فأسقمته. بيد أنه أفاق واعتدلت صحته شيئاً فشيئاً. وفيما هو ذاهب للصيد، نهض أخوه عزالدين كرشاسف إلى الأمير علي بن بدر وقتله، بعد أن قال له إن كان أخي قد أراد القضاء على أخيه، فما الذي دعاك إلى التطفل والاشتراك معه؟

ولما بلغ هذا الخبر بغداد، رجع حسام الدين خليل بن بدر إلى لرستان، فلم يكن من شرف الدين أبي بكر إلا أن يتشاور مع أتباعه وقال لهم: إذا جاء خليل لزيارتي، وقمت بسدل الغطاء على رأسي، فصولوا عليه، وأبيدوه. فلما عاده حسام الدين خليل، أخذ يطبق الأمر الذي كان قد أسرَّ به إليهم. غير أن أتباعه تهاونوا ولم يقدموا على عمل ما. فلما غادر خليل مجلسه، سألهم: مالكم فرطتم في قتله وأحجمتم عن تنفيذ الخطة المقررة؟ فأجابوه: أيها الأمير! إنك مضطجع على فراش الموت، وقد قاربت الهلاك، ولا جرم أن أمر المملكة سيؤول إليه، فهذا الذي صدنا عن الفتك به! فتألم من هذا الجواب الذي حز في قلبه أكثر، وصمم على قتل خليل، وشعر خليل بعزمه هذا فقفل راجعاً إلى دار الخلافة بغداد. هذا ولم يقدر لشرف الدين التخلص من ذلك المرض، فانتقل من دار الغرور إلى دار السرور[٢٧]، وحل أخوه عزالدين كرشاسف محله.

٤- عزالدين كرشاسف بن نورالدين محمد

تولى الإمارة وتقلد زمام الحكم في اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو بكر. ثم عقد

---

(٢٦) جاء في تأريخ الدول والإمارات الكردية (٢-١٥٢) أن الثوار تعقبوا سيف الدين ومعه ابن أخيه علي بن بدر فقتلوهما معاً (ولا يخفي الخطأ فيه).

(٢٧) جاء في تاريخ عمومي (٥-٢٠٤): أن صهره سقاه سماً، وبه كانت وفاته. ولعل هذا التسمم

النكاح على ملكة خاتون شقيقة سليمان شاه ابوه[٢٨]، وعقيلة أخيه المتوفىً. فلما

غير ماذكر.

(٢٨) كان سليمان شاه أيوه كردياً يحكم كردستان وقد اشتبه على بعض المؤرخين بأنه سليمان بن برچم الأيواقي التركماني الذي قتله هولاكو (أنظر إلى التحقيق في الصفحات التالية):

تخلف أخبار المؤرخين حول سليمان شاه وحسام الدين خليل، فقد جاء في «الحوادث الجامعة» المنسوبة إلى ابن الفُوَطي(٦٤٢ - ٧٢٣هـ) في حوادث سنة ٦٤٣هـ في الص (٢٨٦) مايلي:

«كان خليل بن بدر الكردي أحد زعماء اللرستان، فخرج من طاعة الخليفة ، وإلتجاء إلى المغول، وكان يلبس زي القلندرية، ويزعم أنه من أصحاب الشيخ أحمد بن الرفاعي (يعني السيد أحمد الرفاعي م.) واظهر الإباحة (؟!) فاجتمع عليه خلق كثير، وكان يشرب الخمر ويأكل الحشيش المسكر، فخرج معه جمع كثير من المغول وغيرهم وقصد نواحي اللحف (اي جبال مندلي - زاگروس) ونهب جماعة من رعية سليمان شاه وقتلهم، ثم حاصر قلعه وهار (قرب همدان) وهي لسليمان شاه فخرج إليه في خلق كثير، فالتقوا واقتتلوا من ضحى النهار إلى العصر، فقتل من أصحاب الخليل ومن المغول ٦٠٠, (فارس وراجل) وانهزم خليل فظفر به أحد أصحاب سليمان شاه وأراد قتله فوعده بمال كثير، فلم يقتله، فأخذه أسيراً، فخرج قوم من التركمان من أصحاب سليمان شاه، كان قد قتل منهم جماعة، فقتلوه وحملوا رأسه إلى سليمان شاه فأمر بتعليقه على باب خانقين فعلق ...» (حدث هذا الحادث طبعاً بعد ولادة ابن الفُوطِّي بسنة واحدة)، وجاء في كتاب «جامع التواريخ» لمؤلفه الوزير رشيد الدين فضل الله (٦٤٥ - ٧١٨هـ) المؤلف بالفارسية، في ص. ٦١٦ /ج١ /ماتعريبه: «في عهد خلافة المستعصم بالله وبين أعوام (٦٤٨ - ٦٥٥هـ) كان حسام الدين خليل بن بدر بن خورشيد البلوچي(؟!) (لم يرد لقب البلوچي في أي مصدر آخر م) من أكابر الأكراد قد خرج من طاعة الخليفة والتجأ إلى المغول، وكان قبلئذ متلبسا زي الصوفية ويعتبر نفسه من مريدي «سيدي احمد» فاستثار جمعا من المغول وقصدوا «خولنجان» من نواحي النجف (الصواب اللحف ويقصد بـ(خولنجان = خوى لين xwelin = طوزخورماتو الحالية)(وخوى لين - المملحة «قيتول»م) وأغار على جماعة من اتباع «سليمان شاه» فقتل البعض وسلب ونهب كثير منها اتجه إلى قلعة وهار من البلدان الخاضعة لسليمان شاه فحاصرها فاستنجد سليمان شاه فطلب الرخصة من الخليفة ليذهب لدفع خليل، ولما وصل حلوان اجتمع عليه خلق كثيراً من القرى، كما اجتمع على خليل جمع من المسلمين والمغوليين، فالتقى الطرفان في الموضع الموسوم « سهر» (وفي مصادر أخرى في دهليز) وكان سليمان شاه قد ضرب له كميناً، فلما اشتد القتال تظاهر سليمان شاه بالانهزام فتبعه حسام الدين خليل ولما اجتاز الكمين نهضت إليه القوات الكامنة فحاصرت «خليل» وقواته، فأسرت البعض وقتلت البعض بضمنهم حسام الدين خليل فالتجأ أخوه إلى الجبل، ومن ثمة عرض الأمان فاحتل سليمان شاه اثنتين من قلاعه «شيگان» الحصن الحصين و «دزيز» القلعة الواقعة وسط بلدة «شاپور خواست»(حدث الحادث بعد ولادة رشيد الدين بسنتين).

ملاحظة: لم يرد في المصدرين المذكورين لقبا (شهاب الدين- أيوه). وأورد الجويني(٦٢٣ - ٦٨١هـ) في كتابه «جهان گشا» باللغة الفارسية ج٣ ص ١٥٣ في حوادث سنة ٦٢١هـ ما تعريبه:«عزم السلطان جلال الدين خوارزم شاه الاتجاه نحو «تستر» ليقضي فيها فصل الشتاء، فارسل في الطليعة قوى، ثم سار هو في عقب القوة، فالتقى بسليمان شاه، فرحب به سليمان شاه وزوجه أخته ثم وصل شاپور خواست، وكانت مدينة عظيمة فلبث فيها نحو شهر، فقصده فيها أمراء اللور»

ملحوظة: حادث الالتقاء كان قبل مولد جويني بعامين ... أما حادث نزاع سليمان شاه وحسام الدين خليل فكان في حياته ولم يشر إليها ، وظهر أن سليمان شاه كان أحد زعماء الأكراد، لاسليمان بن ترجم التركماني...

هنا لابد للتصدير أن ننقل ما ورد في كتاب «بلدان الخلافة الشرقية»لمؤلفه كي لسيترغ، المعرب من قبل السيدين بشير فرنسيس وگورگيس عواد (ص ٢٢٧ - ٢٢٨) «... أما ما يقال عن أصل إقليم كردستان، فيروي أنه في نحو المنتصف في المئة السادسة (الثانية عشرة) (اقتطع السلطان سنجر السلجوقي من القسم الغربي من الجبال «أي ماكان من أعمال كرمانشاه » وسماه كردستان (؟!) وولى عليه ابن أخيه «سليمان شاه» الملقب (أمه أو أبوه) وهو الذي صار فيما بعد - اي في سنة ٥٥٤هـ - ٥٥٦هـ (١١٥٩ - ١١٦١م.) خلفا لعمه في رئاسة البيت السلجوقي وسلطنة العراقيين(؟). وهذه هي رواية المستوفي الذي قال: «إن كردستان في ايام سليمان شاه، ازدهر ازدهاراً وبلغ ارتفاع الوارد مليوني دينار ذهب (أي مايعادل مليون استرليني) وهو عشرة أضعاف ماكان بدوره بذمة هذا الإقليم في المئة الثامنة (الرابعة عشرة م) أيام حكم المغول حين كان المستوفي نفسه مستوفياً لاموال الدولة، واتخذ سليمان شاه «بهار» - وهي مدينة مازالت قائمة على نحو ثمانية أميال شمالي همدان - قاعدة له، وكان فيها قلعة منيعة».

ملحوظة: إنني لا أجيد اللغة الانجليزية حتى أقابل الأصل والتعريب، ولكن في عبارة (كي لسيترغ) أخطاء غير مغتفرة، إلا إذا اعتبرناه جغرافيا غير مؤرخ. ومن الغريب أن المعربين لم يعلقا على أخطائه، بل إن مترجما نقله إلى الفارسية أيضا لم ينتبه إلى الأخطاء. ومن المؤسف أن المرحوم محمد امين زكي بك المؤرخ الكردي قد نقل هذا النص من دون أن يناقشه أو ينتبه للأخطاء، واقتبسه كثيرون من أمثال السيد منذر الموصلي من كتاب خلاصة تأريخ الكرد وكردستان من دون أن ينتبه للأخطاء أيضا، وحين كنت مقرر لجنة تأريخية في(الهيئة الكردية) اقترحت على اللجنة دراسة كتاب خلاصة تأريخ الكرد وكردستان فقمنا بكتابة تعاليق على أخطاء وجدناها أكتبها هنا:

أ- لم يرد في أي مصدر تأريخي بين أيدينا باللغات العربية - التركية - الفارسية أن السلطان سنجرالسلجوقي سمى قسما من الجبال «كردستان»!

ب- كان المؤرخون القدماء والجغرافيون يستعملون مصايف الكرد ومشاتيهم ،كما نجد ذلك في البلخى- الإصطخري - ابن حوقل - المقدسي - الجيهاني - الإدريسي - الحموي - أبي الفداء -

وغيرهم، وأقرب شاهد هو مجموعة خرائط جمعها الدكتور أحمد سوسة (رحمه الله) وطبعها المجمع العلمي العراقي، ولا يبعد أن يكون اسم بلاد الجبال تكريما لقول خليفه الثاني عمر بن الخطاب(ر.ض): «... لوددت ان بيننا وبين الجبل (كردستان) سدا من النار لاينفذون إلينا ولاننفذ إليهم ...» راجع فتوح البلدان للبلاذري والكامل لابن الأثير.

ج- إن أول شخص أبدل اسم بـ«بلاد الجبال» «بلاد الاكراد» - المعادل لكلمة كردستان هو محمود بن حسين بن محمد الكاشغري الذي أتمَّ كتابه الموسوم «ديوان لغات الترك» العام ٤٦٦هـ وقد أهداه إلى الخليفة العبَّاسي المقتدي بالله. فقد وضع في كتابه خارطة أدرج فيها بلاد الأكراد، وقد نشرها الأستاذ شكور مصطفى في جريدة «هاوكارى» في الثمانينات(راجع مقدمة الجزء الاول للكتاب «ديوان لغات الترك» لمترجمه بسيم أتالاي المجمع العلمي التركي/ مطبعة علاء الدين قرال أنقرة ١٩٣٩.

د- وقد أخطأ«كي لسيترغ» في ضبط عبارة نزهة القلوب للمستوفي القزويني وهذه ترجمتها العربية: «الباب العاشر في ذكر بقاع كردستان وهي ستة عشر ولاية، هوا ؤها معتدل، وحدودها تتصل بولايات عراق العرب - خوزستان - عراق العجم - آذربايجان - دياربكر. كان موردها المجبى المستوفي للديوان في عهد سليمان شاه «أبوه» يقرب من مئتي تومان في هذا العهد، أما المورد الآن فهو عشرون تومانا وألف و خمس مئة دينار، كما هو مسجل في الدفاتر، ص ١٢٧ (نزهة القلوب باللغة الفارسية) لعل كي لسيترغ استفاد المعلومات من مؤلفات آخرين، هم أخطأوا، لا من نزهة القلوب - مباشرة.

هـ- وقد إلتبس على كي لسيترغ أيضا اسم سليمان فاعتبره ابن اخي سلطان سنجر، علما بأنه لم يلقب في اي مصدر سابق بلقب (أيوه) أو (أبوه) بل كان يحمل القاب أبيه السلطان محمد فقد لقبه الخليفة العباسي المقتضي لأمر الله سنة ٥٥١هـ (١١٥٦م): «غياث الدين والدنيا ... الخ ولم يوله عمه السلطان سنجر السلجوقي على كردستان، بل جعله ولي عهد له مدة، فأخذ ينافس السلطان مسعود الذي بادر بإلقائه السجن حيث لبث في السجن سبع سنين، ثم أوصى السلطان محمد بن السلطان محمود بتنصيبه خلفا له بعد موته، فلما توفي سنة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) جيىء بسليمان من سجن الموصل إلى همدان ليتولى السلطنة (الكامل لابن الأثير ج١١ / ص ٢٥٠-٢٥٥). وزاد مؤلف تأريخ گزيده: «أنه سلطن ثمانية أشهر، ولكن الجند قبضوا عليه في شوال سنة ٥٥٦هـ (١١٦٢م) ».

و- أما سليمان شاه أيوه فهو من الأكراد الكلهوريين ولاتزال (أيوان) خانقين تحمل اسم عشيرته وكان ملك كردستان وعاصمته «وهار» وهو يسكن بغداد كما كان حسام الدين خليل وأمراء الأكراد جميعا لهم قصور في بغداد، في ذلك العهد. «وسليمان» هذا التبس أمره على المؤرخين، فظن البعض. انه سليمان بن پرچم الأيواقي التركماني - الذي جاء ذكره في الكامل لابن الأثير ج١٢ / ص ٣٠١ في الحوادث. ٦٤٠هـ « عزل الخليفة الناصر سليمان بن پرچم من رئاسة عشيرة الأيوائية (الأيواقية) التركمان ونصب مكانه أخاه» فقد كانت بقايا التركمان الأيواقيين منتشرة حوالي همدان وبعض أنحاء لرستان. وبعد هذا العهد لا نجد في الكتب التأريخية ذكراً لسليمان

بن پرچم إلا قائدا في سنة ٦٥٦هـ حيث قتل في حملة هولاكو وهو أحد الأثافي الثلاثة (سليمان – دواتدار – العلقمي) مع الخليفة المستنصر. أما الذي ألصق لقب أيوه بـ «سليمان شاه» فهو كما أعتقد السيد صدرالدين الحسيني مؤرخ السلاجقة مؤلف كتاب «زبدة التواريخ» الذي اقتبس منه المعلومات المؤرخ مستوفي قزويني – المتوفي سنة ٧٥٠/هـ – فقد أدرج المعلومات في كتابه «تأريخ گزيده» ص ٥٥٥ ونزهة القلوب. وها نحن ننقل نص العبارة من تأريخ گزيده، بعد تعريبها..أن عزالدين گرشاسف ملك لرستان الصغرى لما خلف أخاه شرف الدين أبابكر في حكومة لرستان، تزوج أرملته أيضا، المسماة «ملكة خاتون» شقيقة «شهاب الدين سليمان شاه أيوه» فقد سمع «حسام الدين خليل بن بدر» ذلك، سار من بغداد إلى لرستان لينزع منه الملك، فتنازعا، فغلبه حسام الدين خليل وطلب إليه التنازل عن قلعة «كريت» مقر حكومته، على أن يجعله ولي العهد له، فقبل «عز الدين»، ولكن حسام الدين قتله بعد عام غدرا، فالتجأت ملكة خاتون مع اطفالها إلى اخيها «شهاب الدين سليمان ايوه» فأدى ذلك إلى المقاتلة بين «حسام الدين خليل» و «شهاب الدين سليمان شاه» «ايوه» الذي غلبه فأسرته قواته وقتلته وكان ذلك سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) (في الحوادث الجامعة سنة ٦٤٣هـ، وفي جامع التواريخ ٦٤٨هـ) فخلفه أخوه بدر الدين مسعود في تولي الملك في لرستان، فذهب يرجع الشكوى إلى «قاءآن» «يعني منگوقاء آن امبراطور المغول في دار ملكة خطاً» ولبث في خدمته إلى أن سير هولاكو لاحتلال بغداد، فجاء مسعود في ركابه، وطلب إليه ان يسلمه «سليمان» ليقتص منه لأخيه، فلما قتل سليمان شاه في بغداد نقل بدر الدين مسعود حريمه (زوجاته – بناته – أخواته) إلى لرستان وزوجهن من أشياعه وأتباعه.

من هنا نعلم أن لقب «شهاب الدين – أيوه» قد زيد من قبل السيد صدر الدين الحسيني مؤرخ السلاجقة – اعتقادا منه بأن المعني هو سليمان بن پرچم – وبذلك اختلط الأمر على المؤرخين اللاحقين (الأمير شرف خان – قاضي غفاري –وغيرها)، وفاتهم أن يتصوروا من هو سليمان هذا؟ وكذلك لماذا ينقل بدر الدين مسعود أمير لرستان حريم أمير تركماني قاتل أخيه إلى دار ملكه وإلى بيته ويتولى تربيتهن وتزويجهن . من الغريب أن لم يشك أحد من المؤرخين في الالتباس خلال قرون، ولكن العلامة محمد قزويني شك في الأمر (في تعاليقه على المجلد الثالث من جهان گشاي جويني ص٤٥٠ – ٤٥٩). ومن المعتقد أنه لم يطلع في وقت كتابة التعاليق على كتاب منتخب التواريخ لمؤلفه (معين الدين نطنزي) وقد ألفه في سنة ٨١٦هـ في شيراز، جاء في ص.٥٩ منه ما يلي: «قصد بدر الدين مسعود سنة ٦٤٠هـ «خطأ» (عاصمة المغول) ورجع بعدئذ في ركاب هولاكو خان إلى إيران) ولما احتلت بغداد، سار بدرالدين مسعود بقوة من المغول لمحاربة سليمان شاه فقتله ووزع حريمه على أشياعه وأتباعه الأدنين لينكحنهن ...» هذا النص الصرح فسّر لنا الالتباس، فسليمان بن پرچم التركماني قائد المستعصم قتله هولاكو وبعث برأسه إلى «لؤلؤ.» حاكم الموصل – وكان صهره – ليعلقه هناك، أما سليمان شاه ملك كردستان فقد قتله بدر الدين مسعود اقتصاصا لأخيه حسام الدين خليل.

إن هذا الكتاب ولو إنه ألف بعد حادثة سليمان شاه بنحو ١٦٠ عاما إلا أننا نعتمد عليه، إذ

فشا هذا النبأ في أوساط بغداد وطرق سمع حسام الدين خليل[٢٩]، وطد على عزمه على استخلاص لرستان، فاتجه إلى خوزستان وحمل منها جيشاً عرمرماً[٣٠] يغزو به عزالدين كرشاسف، الذي لم يكن ليرغب في المناجزة، وكان يريد النزول له عن الملك من غير حرب ولاجدال. غير أن أخواته لم تطعنه وقلن له: إذا أنت قعدت عن قتاله، فإننا بالرغم من أنوثتنا نضطلع بأعباء الرجال، ونقدم على قتاله! فقام عزالدين كرشاسف عملاً بما سمعه منهن، يتهيأ لقتاله، ويستعد لحربه. وما التقى الفريقان في ضواحي إحدى القرى بتلك الناحية إلا انحاز الكثيرون من الشعب اللر إلى حسام الدين خليل، فوقعت الهزيمة والاندحار في جانب عزالدين كرشاسف، فأراد الاعتصام بقلعة كريت[٣١] حيث كانت عقيلته ملكة خاتون، غير أن حسام الدين خليل شعر بذلك، فأرسل قوة تصده عن القلعة، فمنعته من اللجوء إليها، والتحصن بها، حتى إذا أدركه بنفسه من الخلف أسره وأعطاه الأمان. ثم حاصر قلعة كريت. فلما طال أمد الحصار زهاء ثلاثة أيام لبَّت ملكة خاتون أمر زوجها عزالدين كرشاسف، وفتحت باب القلعة، فهدأ الوضع، وعادت المياه إلى مجاريها، وانتقلت شؤون المملكة إلى حسام الدين خليل.

يقول المستشرق «ژان اوپن» الذي عثر على الكتاب زصححه وكتب له مقدمة، وطبعه، يقول في وصفه: (ص ز من المقدمة): إن المؤلف قد جمع أخبارا من جنوبي إيران لم يسبقه إليها أحد، وقد استفاد من كتابه هذا عدد من المستشرقين الباحثين في تاريخ جنوبي إيران، وإنه كتاب مفيد فيما يتعلق بجغرافية آسيا المركز ية (الوسطى). إذ إن المؤلف حصل على مراجع باللغة التركية الجغتائية غير المعروفة الآن ونقل عنها معلوماته.

حقا إن معين الدين نظنزي (رحمه الله) أنقذ المؤرخين من الالتباس والخطأ. فليس معقولا ان يكون سليمان شاه بن پرچم التركماني الذي حورب وطرد هو وجده، وأبيدت قوته، أن يعين ملكا على كردستان في وقت كانت أتابكة لرستان، وأمراء كلهور في أوج القوة، وأقليما كلهر وگوران يتنازعان لرستان. ولابد أن يكون سليمان شاه ايواني من كلهر. إنني لأرجو من المؤرخين الذين يكتبون عن الكرد وكردستان ان ينظروا بدقة إلى مثل هذا الأمور....

(٢٩) كان من حفدة عمه، فهو حسام الدين خليل بن بدر بن شجاع الدين خورشيد.

(٣٠) جاء في تأريخ عمومي (٥-٢٠٤) أن خليفة بغداد أمده بنفر من الجند.

(٣١) لعلها قلعة كربه أو كرنج أو كربق، وهي موضع قريب من الأهواز دون سوقها بثمانية فراسخ من جهة البصرة (م. عوني) كريت اسم موضع يحادد بيات بين پشتكوه ومندلي استوطنهما

٥- حسام الدين خليل بن بدر بن شجاع الدين خورشيد

لما اعتلى عرش حكومة لرستان، اتخذ عزالدين كرشاسف ولي عهد له على الولاية، وبعد مضي عام على تولّيه الحكم، طلبه يوماً إلى المثول بين يديه، فلم تر زوجته أن يقصده، بيد أنه خالف رأيها، وسار إليه غير حذر منه. فلما مثل بين يديه، خالف الإنصاف، وأشار بقتله فوراً فأريق دمه غدراً. فبادرت ملكة خاتون في الساعة التي راح زوجها ضحية الغدر إلى إرسال أولادها: شجاع الدين خورشيد وسيف الدين رستم و نورالدين محمد إلى أخيها (سليمان شاه أبوه) سراً ليحتموا به. فبعث هذا العمل على إذكاء نار الخصومة الشديدة بين حسام الدين و سليمان شاه أبوه. فأدى ذلك إلى تكرار القتال بينهما - خلال شهر واحد - زهاء إحدى وثلاثين مرة حتى أسفرت المطاحنات عن اندحار سليمان شاه أبوه وانهزامه. فخضعت قلعة بهار[٣٢] وولايات أخرى من كردستان لتصرف الحكومة اللرية.

ولما مضى ردح من الزمن، عباً سليمان شاه أبوه جيشاً لمحاربته، فتواقفا في المحل المعروف باسم دهليز. لكن حسام الدين خليل تمكن منه، فدحره وألجأه إلى القفول، وتعقبه حاملاً فكرة الثأر والانتقام، فقتل أخاه عمر بگ وجمعاً عظيماً من ذوى قرباه. ولم يكن من سليمان شاه إلا أن قصد دار الخلافة بغداد مستنجداً، ورجع منها لمحاربته بجيش يناهز ستين ألف مقاتل، ولم يكن جيش حسام الدين خليل آنئذ ليزيد على ثلاثة آلاف من الفرسان وتسعة آلاف من المشاة، فتواقفا في صحراء شاپور[٣٣]، وتناجز الفريقان فأخفق جيش سليمان شاه لأول وهلة، لكنه لم يتزعزع، بل ثبت قدم العزيمة، ورسخ في مكانه، حتى تألب عليه فلول جيشه المنهزم، فدخل المناجزة للمرة الثانية، وكان حسام الدين خليل قد آلى يمين الطلاق في تلك الآونة ألا يولي دبره العدو، حتى يغلب خصمه أو يقتل... فأحاط به الأعداء فقتلوه، وحملوا رأسه إلى سليمان شاه بعد أن أحرقوا جثته. فقال سليمان شاه «لو أتيتم به إليّ حياً لأنقذته من الموت، وأعتقت حياته، ولكن هذا أمر لا مندوحة منه!» وأنشد على البديهة هذه الرباعية:

البقايا المتبقية من عشيرة البيات وللتفصيل يراجع التعليق السابق على اسم البيات.

(٣٢) قلعة بهار: بلدة حصينة في كردستان الإيرانية كانت عاصمة هذه الإيالة في عهد سليمان شاه. (بهار اليوم قصبة تبعد عن همدان ببضع كيلومترات).

(٣٣) صحراء شاپور: هي هضبة سابور بين فارس ولرستان [محمد علي عوني].

بيچاره خليـــل بدر حيـــران گشتـــه تخم هوس (بهـار) درجـان كشته
ديو هوسش ملك (سليمان) ميجست شد در كف ديوان سليمان كشته

أي إن خليلاً بن بدر أصابه الوله، فغرس منية الحصول على بهار في قلبه. كان شيطان أمنيته يرغب في نيل ملك سليمان، ولكنه مني بالقتل على يد عفاريت سليمان.

ولقد وقعت هذه الحادثة في حدود عام أربعين وست مئة (١٢٣٨م).

٦- بدر الدين مسعود بن بدر بن شجاع الدين خورشيد

لما قتل أخوه في صحراء شاپور، قصد منكوقاء آن[٣٤] فقال له: «لما كنا، منذ قديم الزمن، من دعاة هذه الدولة، فقد حنقت علينا دار الخلافة. وأمدت خصمنا بالمساعدات. ثم استنجد به، فأمر أن يسير بملازمة هولاكو خان إلى إيران.

وفيما اتجهوا إلى بغداد طلب من هولاكو خان أن يهبه حياة سليمان شاه، إلا أن هولاكو خان قال له: هذا الكلام أعظم من أن يقال، فإن الله أعلم بما تؤول إليه حاله... ثم لما احتلت بغداد واستشهد سليمان شاه، التمس بدر الدين مسعود منه أن يوهب أهل بيت سليمان شاه وحواشيه. فأجابه إلى ملتمسه هذا، فجاء بهم إلى لرستان، وعني بهم، وطيب قلوبهم بحيث لم يترك دقيقاً من لوازم الخدمة إلا أداه، ولم يزل كذلك حتى عاد إلى بغداد عمرانها. فحينئذ خيَّر أهل بيت سليمان قائلاً لهن: «كل من ترغب في الرجوع إلى بغداد، يسمح لها بذلك، ومن ترغب البقاء في لرستان فإنني مستعد أن أزوجها من أقاربي!!» فذهب بعضهن إلى بغداد، وبقي عدد اخترن البقاء في لرستان وأقمن بها فدخلن في حبالة زواج أولاده وأقاربه.

ثم لما مضى على الحكم ستة عشر عاماً[٣٥] جاءه الأجل المحتوم عام ثمان

---

(٣٤) منكوقاء آن: هو رابع ملوك الجنگيزية وحفيد جنگيز خان. تولى السلطنة سنة ٦٤٨ هجرية. وكلف أخاه هولاكو خان بالاستيلاء على غرب آسية، وأخاه الآخر قبلا آقا خان على شرقيها. وفي عهد هذا التتري أرسل لويس التاسع من ملوك فرنسة وفداً إلى البلاط الجنگيزي يعرض عليه: أن يدخل الخان في المسيحية، وأن يتحالف معه على العالم الإسلامي، فلم يلتفت إلى هذا الوفد [محمد علي عوني].

(٣٥) جاء في تاريخ عمومي (٥ - ٢٠٥) أنه تولى الحكم نحو ثمانية عشر عاماً، وأنه توفي عام ٦٦٧ هجرية - ١٢٥٦ ميلادية.

وخمسين وست مئة ١٢٦١م. هذا، وقد كان حاكماً عادلاً اشتهر عنه أنه كان يحفظ أربعة آلاف مسألة من مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه[٣٦]، وأنه لم يرتكب طوال حياته سفاحاً».

ولما توفي، نازع ولداه (جمال الدين بدر وناصر الدين عمر) تاج الدين شاه بن حسام الدين خليل على سرير الحكم، فقصدا معسكر أباقا خان، فصدر منه الأمر بإبادتهما وإناطة حكومة لرستان بالأمير تاج الدِّين شاه.

٧- تاج الدِّين شاه بن حسام الدِّين خليل بن بدر بن شجاع الدِّين خورشيد

أصبح بموجب الأمر الصادر من أباقا خان حاكماً على لرستان، وتقلدَّ زمام حكمها نحو سبعة عشر عاماً، قتل بعدها سنة سبع وسبعين وست مئة (١٢٧٨م)[٣٧] بفرمان منه أيضاً: فانتقل أمر الملك بعده إلى ابني بدر الدِّين مسعود: فلك الدِّين حسن وعزالدِّين حسين.

٨-٩- فلك الدِّين حسن وعزالدِّين حسين

تولى فلك الدِّين حسن شؤون ولاي[٣٨] وعزَّالدِّين حسين شؤون ينجو[٣٩] إضافة إلى ما كان له من ولاية عهده لأخيه. وقضيا في الحكم زهاء خمسة عشر عاما. فتقدَّمت لرستان على عهدهما تقدما مرضياً، وانتظمت أمورها ثمَّ إنَّهما قضيا على كثير من الخصوم والأعادي، كما نكَّلا بكثير منهم. وكذلك شنَّا غارات على مملكة بيات[٤٠] وبشر.... حتى أنَّ تلك الولاية كانت في أغلب الأحيان تخضع لتصرُّفهما.

---

(٣٦) وورد في المصدر المذكور: أنه من أتباع مذهب أبي حنيفة بن ثابت، وأظنه مخطئاً في هذا الرأي.

(٣٧) جاء في المصدر السَّابق (ص٢٠٦) أنَّه قتل سنة ٦٧٤هـ - ١٢٧٥م.

(٣٨) ولاي: ضبطها السَّيد محمد أمين زكي بلفظ دلار وقال: «إنها شؤون الدَّولة المالية».

(٣٩) ينجو: أي نظارة أملاك الخان الخاصة وخزائنه.

(٤٠) يقول السَّيد محمد أمين زكي بك: «إنَّهما أدارا لرستان إدارة حسنة، وقهرا كثيراً من أعاديهما، وألَّفا جيشاً يربو على سبعة عشر ألف نسمة، أجليا به عشيرة بيات عن ولاية لرستان

كان فلك الدِّين حسن رجلاً في غاية الذَّكاء والفطنة والتقوى، إلا انَّه كان كثير الولع بالمزاح[٤١]. أمّا عزُّالدِّين حسين، فقد كان جبَّاراً عنيداً حقوداً لا يرحم المجرم أبداً.

كان يخضع لتصرُّفهما من همدان حتى شوشتر، ومن حدود إصفهان حتى حدود المملكة العربيَّة[٤٢]. أمّا من ناحية العدل والرأفة بالشَّعب، فقد بلغا القمَّة بحيث كانا يتلفان لأجل (خيار = قثَّاء)، (خياراً = قنطاراً)[٤٣]. هذا ولم يزل الأخوان يتبادلان الولاء والحبَّ، ويقضيان الوقت بالوئام التام حتى آخر نفس من حياتهما. وقد أناف جيشهما على سبعة عشر ألف نسمة، ورضي عنهما ملوك إيران، فأحسنوا جوارهما. ومن غريب ما اتفق أنهَّما توفِّيا في عام واحد، وهو عام اثنين وتسعين وست مئة (١٢٩٣م)[٤٤] على عهد كيخاتون. فأعقب فلك الدَّين حسن ولداً اسمه بدرالدِّين مسعود، وخلف عزَّالدِّين حسن نجله المسمّى نورالدِّين محمد.

١٠- جمال الدِّين خضر بن تاج الدِّين شاه بن حسام الدِّين خليل بن بدرالدِّين بن شجاع الدِّين خورشيد

تولى أمر الحكومة بموجب الفرمان الصادر من كيخاتون، غير أنَّ الرَّجلين المدعوَّين حسام الدِّين عمر بك بن شمس الدِّين بن شرف الدِّين تهمتن بن بدر الدِّين بن شجاع الدِّين خورشيد وشمس الدِّين لنبگي صارا حجر عثرة في طريقه، فحالا دون استتاب أمر الحكومة له؛ إذ كانا يأبيان الانقياد لطاعته. وأخيراً استعانا بالجيش المغوليِّ الذَّي كان له (يورت = معسكر)[٤٥] في تلك التخوم، وباغتاه بالهجوم، بالقرب من

بالكلية».

(٤١) وفي نسخة: «إلا أنَّه كان ذا مزاج حديدي» [محمد علي عوني].

(٤٢) يعنى به العراق العربيَّ كما نصَّ على ذلك السَّيد محمد أمين زكي بك.

(٤٣) وفي نسخة، كان يقضي لأجل (جبار) على (خيار)، وفي نسخة أخرى، لأجل (خيار) على (جبار) [محمد علي عوني].

(٤٤) لقد نصَّ مؤلِّف (تاريخ عمومي) على أنَّ الَّذي توفِّي في هذا العام هو الأمير عزُّالدِّين حسين، وقال، أناب كيخاتون عنه أخاه جمال الدِّين خضر...» وجاء في (قاموس الأعلام) ما يؤيِّده، قال: إن فلك الدِّين حسن حكم بعد وفاة أخيه مدَّة ضئيلة.

(٤٥) وفي نسختين خطيتين: كان لهما (يورق) [محمد علي عوني].

خرم آباد، فقتلاه مع نفر من ذوي قرباه[٤٦]. وبه انقرض نسل حسام الدِّين خليل. وكانت هذه الحادثة عام ثلاثة وتسعين وستة مئة (١٢٩٤م).

١١- حسام الدِّين عمر بك

تولىّ الحكم على لرستان قهراً وعنفاً ببأسه وقوتَّه، غير أنَّه نهض إليه كلٌ من الأميرين صمصام الدِّين محمود بن نور الدِّين محمد وعزُّالدِّين محمد ونازعاه الملك، يؤيِّدهما في ذلك الأمير دانيال من السُّلالة الكرشاسفية مع بعض الأمراء الآخرين وقاموا جميعاً يطالبون بدم أنجال تاج الدِّين شاه ويقولون: «إن عمر بك ليس حريا لتولي السُّلطة ولم ينشأ أمير من سلالتهم للآن. أما الجدير بتولي هذا المنصب فهو صمصام الدِّين محمود إذ إن آباءه وأجداده كانوا منذ القدم حكام لرستان وأمراءها...».

هذا وقد كان صمصام الدين محمود شاباً بالغا من الشجاعة والبسالة الحد الأقصى وفي الكرم والفطنة قمَّة المجد. وقد زحف بجيش قاهر من خوزستان إلى خرمَّ آباد، فتوسَّط في القضية شفعاء حسموا الأمر على أن ينزح شهاب الدين إلياس لنبگي وإخوته الذِّين كانوا سبب هذه الفتنة عن تلك الولاية. ويتنازل حسام الدين عمر بك عن الحكم ليستتبَّ أمر الملك للأمير صمصام الدِّين محمد فرضي الطرفان بهذا القرار وتسنم المومأ إليه عرش حكومة لرستان بالاستقلال التام.

١٢- صمصام الدِّين محمود بن نور الدِّين محمد

بعد ما أقصي عمر بك عن الحكم، حلَّ محلَّه صمصام الدِّين محمود، فنظَّم أمور المملكة ونهض بها نحو التقدم والازدهار ولبث على هذه الحال ردحاً من الزَّمن. ثمَّ أزمع على القضاء على شهاب الدين والياس لنبگي وإخوته، فحمل عليهم وحده، فنهضوا لمحاربته وطعنوه في أربعة وخمسين موضعاً من جسده، لكنه لم يولِّهم دبره، بل ظلَّ يطاردهم حتى اضطرهم أن يقتحموا جبلاً متوَّجاً بالثُّلوج، ولم يدعهم بذلك، بل أرغمهم على الهبوط وأبادهم عن بكرة أبيهم. ثمَّ نهض حفيد الشيخ كاهويه إلى

---

(٤٦) يقول صاحب (تاريخ عمومي)، إنَّ ظفرهما به كان في أثناء خروجه للقنص، وذلك بعد تولِّيه الحكم بما يقارب سنة واحدة.

التظلُّم من عمر بك[٤٧] وصمصام الدِّين محمود، واتَّجه إلى معسكر غازان، حيث طالب بدم كل من جمال الدِّين خضر وشهاب الدِّين إلياس، فأحضرا بحسب الإرادة الخانيَّة في المعسكر. فسأل غازان خان عمر بك قائلا: «لماذا قتلت جمال الدِّين خضراً؟» فأجاب: «لعدم إنفاذه القتل فينا» وسأله ثانياً: «ولماذا قتلت نجله الطِّفل؟» فبهت ولم يجب. فسلَّمه إلى ورثة جمال الدين خضر ليقتصُّوا منه بالقتل. ثمَّ قتل صمصام الدين محمود أيضاً ثأراً لدم شهاب الدِّين إلياس. وقد وقعت هذه الحوادث سنة خمس وتسعين وست مئة (١٢٩٦م).

١٣- عزالدين محمد[٤٨] بن الامير عز الدين حسين بن بدر الدين مسعود

لَمَّا قتل كلٌ من عمر بك وصمصام الدِّين محمود، تولَّى الحكم على لرستان صغيراً. غير أن بدر الدِّين مسعود بن فلك الدِّين حسن - وكان ابن عمٍّ له وأكبر سناً منه - شقَّ عصا طاعته وثار عليه. فلمّا جاء عهد السُّلطان محمد خدابنده[٤٩] اصدر الأمر بتولية بدر الدِّين مسعود شؤون (ولاي)، ومنحه لقب أتابك. وبتولية عزَّ الدِّين محمد شؤون (اينجو). وأخيراً نيطت شؤون ولاي واينجو بالأمير عزّالدِّين محمد، فقام ردحاً من الزمن بتحمل أعباء هذا الأمر الخطير. ثم أقصاه الأجل المحتوم من هذا العالم الفاني إلى عالم البقاء في شهور سنة ست عشرة وسبع مئة (١٢١٦م).

١٤- دولت خاتون عقيلة عزِّ الدِّين محمد

لمّا قضى عزَّ الدِّين محمد نحبه، تولَّت إدارة المملكة، فوجد الاضمحلال - على عهدها- إلى نظام الحكم سبيلاً، وفقدت المملكة أزدهارها، حتى اوشكت ان تزول الملكية عن هذه الأسرة تماماً، اذ كان في وقتها يعين لهذه المنطقة الحكام من قبل

---

(٤٧) يعنى به حسام الدِّين عمر بگ المار ذكره ...(٢-١٥٦).

(٤٨) ضبطه في (تأريخ الدول والإمارات الكردية) بلفظ أحمد لا محمد.

(٤٩) هو أولجايتو خان بن أرغون خان ثامن الملوك الجنگيزيَّة، تقلَّد زمام الحكم سنة ٧٠٣هـ - ١٣٠٣م بعد وفاة أخيه محمود غازان خان، ثم أسلم وسمَّى نفسه السُّلطان محمد خدابنده، فعني بازدهار المملكة، وشيَّد كثيراً من المباني الخيرية، وكانت وفاته سنة ٧١٦هـ-١٣١٦م.

سلاطين المغول. وأخيراً لما لم تستطع القيام بعمل ما، إضطرت ان تفوِّض شؤون الحكومة إلى شقيق لها[٥٠].

ب- (الأسرة الحسينية)

١٥- عزُّ الدِّين حسين شقيق دولت خاتون

تقلَّد زمام الحكم في لرستان، فعاش سكانها في ظلال عدله زهاء أربع عشرة سنة متمتعين بطيب العيش وفراغ البال[٥١].

١٦- شجاع الدِّين محمود

تقلَّد شجاع الدِّين زمام الحكم بعد والده عز الدِّين حسين ولكنَّ الشَّعب ضاق به ذرعاً، ولم يتحمَّل تصرفاته، فشقَّ عصا الطّاعة عليه وقتله في حدود عام خمسين وسبع مئة (١٣٤٩م)[٥٢].

١٧- الملك عزُّ الدِّين بن شجاع الدين محمود

قام مقام أبيه في الحكم[٥٣]، فحالفه سلاطين العراق، فتدرَّج في توسيع نفوذه، وعظم شأنه. وأخيراً حاصره الأمير تيمور گورگان في قلعة داميان على بعد نصف

---

(٥٠) جاء في (تأريخ الدول والإمارات الكرديَّة) أنَّها تخلَّت عن الحكم لأخيها بسبب زواجها من يوسف شاه أتابك اللر الكبير.

(٥١) لقد أضفى السَّيد حسين حزني على هذا البحث معلومات قيِّمة فقال «بعد ما اعترف السُّلطان أبو سعيد بحكومته أخذ يتدرج في نفوذه. ولم يزل كذلك حتى عهد الأمير تيمور الَّذي طلب منه الإذعان لحكمه فرفض، فحاربه وتمكَّن من أسره وقتله. ولاننسى أنَّه انقرضت الأسرة القديمة الحاكمة بسلفه وظهرت أسرة جديدة بتوليه زمام الحكم.

(٥٢) جاء في (تأريخ الدول والإمارات الكرديَّة:٢-١٥٧): أنَّ هذا الأمير كان يحاول الاستقلال بشؤون البلاد، ولكنَّ شعبه لم يسايره في المضيِّ لتحقيق رغبته بل ثار عليه وقتله.

(٥٣) ورد في المصدر السَّابق، أنَّ الملك عزَّ الدِّين كان حين وفاة والده صبياً في الثَّاني عشر من عمره. وفي سنة ٥٨٧هـ - ١٣٨٢م لَّما وصل الشَّاه شجاع المظفرى بجيشه إلى خرم آباد، زوَّجه إحدى أُختيه، وزوَّج الثَّانية من السُّلطان أحمد الجلايري حاكم بغداد ثمَّ جاء الأمير تيمور إلي إيران سنة ٧٨٨هـ- ١٣٨٥م، وكانت لرستان تستعر بنار الفوضى والاضطراب، فاهتبل الفرصة فزحف عليها من فيروز كوه ووَصل إليها في غاية البدار وضرب الخناق على خرم آباد فاحتلها

فرسخ من بروجرد عام تسعين وسبع مئة (١٣٨٨م) حصاراً طويل الأمد، ثم أسره ونفاه إلى سمرقند، كما أخذوا ابنه السيَّد أحمد إلى أندكان[٥٤]. وبعد أن تعهدوهما بالتربَّية ثلاثة أعوام، أعادوهما إلى لرستان، فتمكَّن عزُّ الدِّين من تسلم كرسي الإمارة مرة أخرى. بيد أنَّ سوء تصرفات ابنه السَّيد أحمد بعث على أن يقبض عليه ضباط المغول، ويتَّهموه بالتَّمرد وشق عصا الطَّاعة. فعوقب بسلخ جلده عام أربعة وثمان مئة (١٤٠١م) وعُلقَ في المحل المدعو بازار (سلطانية) حيث ظلت جثته مدلاة أسبوعاً.

١٨- السَّيد احمد

كان على عهد الأمير تيمور منصرفا إلى التنكيل بحياة الشعب في جبال لرستان على أفظع سورة. ولمَّا حدثت واقعة الامير تيمور[٥٥] انصرف إلى تنظيم حكومته[٥٦] وقام بشؤونها حتى العام الخامس عشر والثمان مئة (١٤١٢م).

١٩- الشَّاه حسين بن الملك عزَّالدِّين

تولَّى الحكم على هذا الشَّعب[٥٧] فأخذ يشنُّ الغارات المستمرَّة على مناطق همدان وجربادقان (گولپايگان) وأنحاء إصفهان. ثمَّ لمَّا حدثت قضيَّة السُّلطان أبو سعيد گورگان[٥٨] استولى على همدان نفسها وسار إلى حاضرة شهرزول- شهرزور...

بعد حصار قصير الأمد وقام بتدميرها، فجعلها يباباً بلقعاً، كما أعمل سيفه في سكان المملكة، وقتل خلقاً كثيراً ولاسيَّما من أمراء اللر ورؤسائها.

(٥٤) كانت قصبة بالقرب من همذان.

(٥٥) لعلَّه يعني هلاكه فقد كان هلاك (تيمور) عام ٧٩٨هـ-١٣٩٦م، وقيام السَّيد أحمد بتأسيس حكومته في لرستان ثانية عام ٨١٠هـ-١٤٠٧م .

(٥٦) جاء في تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة: أنَّه تولّى الحكم بعد وفاة أخيه السَّيد أحمد، واهتبل فرصة النِّزاع الناشب بين حفدة تيمور فأخذ يوسِّع مملكته.

(٥٧) أمَّا الوارد في المصدر السَّابق، فهو أنَّ استشهاده كان عام ٨١٧هـ.

(٥٨) يقصد بالسُّلطان أبا سعيد بن السُّلطان محمد بن ميرانشاه بن تيمور گورگان (الأعرج) تولَّى الملك في ماوراء النهر سنة ٨٥٥هـ واستولى على هرات وغزنه وكابل وقندهار وسيستان وخوارزم، وسار إلى آذربايجان سنة ٨٧٣هـ فتلاقى مع أوزون حسن في حدود (ميانه) فاندحر ووقع في الأسر فأمر أوزون حسن (حسن الطويل الآق قويونلى بقتله... .

غير أنَّ صاحب العشيرة كورپير[٥٩] علي بن علي شكر تصدى له في طريقه فقتله وذلك سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة (١٤٦٨م)[٦٠].

٢٠- الشَّاه رستم بن الشَّاه حسين

قضى أياماً طوالا في القيام بإدارة شؤون شعبه وإدارة حكومته، وأخيراً التحق بملازمة الشَّاه إسماعيل الصَّفوي[٦١] فعني به وكافأه خير مكافأة. ثمَّ لم تمض مدَّة من الزَّمن حتى قضى نحبه.

٢١- أغور[٦٢] بن الشَّاه رستم

كان أرشد أنجال والده، فقام مقامه في الحكم. ثمَّ لمّا حلَّ عام أربعين وتسع مئة

---

(٥٩) جاء في ص ٤٩٦ ج٢ من كتاب ديار بكريه باللغة الفارسَّية: أنه لما قتل السلطان أبو سعيد نصب پير على بن علي شكر بيگ أبو يوسف ميرزا سلطانا فسار إلى همدان، فلما وصل إلى حدودها سمع أنَّ الشَّاه حسين حاكم اللر الصغرى، قد أغار على همدان وحمل على عشيرة (بهارلو) في «شهردرد» (يعني شهرزور) ونهبهم فساروا يتعقَّبونه وبغتة حملوا عليه فقتلوه مع خمس مئة نفر من أتباعه.

(٦٠) الشَّاه إسماعيل الصفوي: هو إسماعيل الأول بن حيدر حفيد الشيَّخ صفيُّ الدِّين الأربيليّ مؤسِّس الدَّولة الصَّفويَّة. كانت أسرتهم أسرة سنية مشهورة بالزُّهد والتَّصوّف.غير أن الشاه حيدر مال إلى الشيعية، ثم إنَّ الشَّاه اسماعيل هذا ثار على ألوند ميرزا الآق قويونلي سنة خمس وتسع مئة ١٤٩٩م. فاستولى على ملكه وقضى على أُسرتهم، ثمَّ استولى على بغداد سنة ٩١٤هـ-١٥٠٨م وتوفي عام ٩٣٠هـ-١٥٢٣م.

(٦١) أورد المؤرخِّان السَّيد محمد أمين زكي بگ والسَّيد حسين حزني، أنَّ الشَّاه إسماعيل الصفوي لَّما تدرَّج في توسيع نفوذه، واحتل بغداد وقصد الحويزة، سيَّر عام ٩١٤هـ-١٥٠٨م جيشاً مؤلَّفاً من عشرة آلاف جنديٍّ بقيادة كل من حسن بگ لا لا من رؤساء أكراد طالش وبيرام بگ قرمانلو لغزو الشَّاه رستم فلمَّا اندلعت بينهما نار الحرب، انسحب الشَّاه رستم إلى جبال بلاده المنيعة، غير أنَّه أحرج موقفه، فطلب الهدنة وبعد ما وقَّع الطَّرفان على شروطها، جاء في اليوم الثَّاني من شهر جمادي الآخرة للسَّنة المذكورة ليحظى بزيارة الشَّاه إسماعيل، فأستقبل استقبالا مهيباً، وقابله الشَّاه بحفاوة بالغة ولاطفه كثيراً باللَّغة اللرية الكردية، وأمر أن يزينوا لحيته الطَّويلة بالأحجار الكريمة، فنظم كلَّ شعرة منها بجوهرة. وأبقاه في ضيافته أيّاماً، ثمَّ أنعم عليه بمنطقتي شستر ودزفول، واعترف بحكومته، وأعاده إلى عاصمة بلاده، ولم يزل يراعي معه حسن الجوار حتى الأخير.

(٦٢) ضبطه السَّيد محمد أمين زكي بك بلفظ أغوز.

(١٥٣٣م)، وكان الشَّاه طهماسب[٦٣] يسير لمحاربة عبيداللَّه خان الأوزبكي إلى خراسان، لازم ركابه الملكي مخلفاً أخاه الصغير جهانگير نائبا عنه على شعبه. بيد أنّ أخاه أهتبل فرصة غيابه فجمع رؤساء العشائر والقبائل، وأغدق عليهم من نعمه وألطافه حتى كسبَ ودَّهم؛ فثار على أخيه وشقّ عصا الطَّاعة عليه، وأعلن نفسه حاكما على شعبه. فلمّا عاد الجيش ظافراً واخترق هذا النَّبأ المؤلم مسامع أغور، استأذن بالإنصراف، وسلك صوب مقصده. فلما وصل أنحاء نهاوند، التف حوله جمع من رعاع لرستان وأخلاط القوم فيها. أما رؤساء العشائر ووجهاء القبائل والزُّعماء وجماهير الشَّعب، فقد ظُلوا مجتمعين على جهانگير ومؤيدين موقفه من دون أن يلتفتوا إلى أغور بنظرة. وأخيراً لمّا أحتدمت بينهما المحاربة، مني بالأسر فنفذ فيه القتل[٦٤].

٢٢- جهانگير بن الشَّاه رستم

لما قضى على أخيه تولى الحكم في لرستان من غير منازع أو منافس، وظلَّ متمتِّعاً بالحكم زهاء تسع سنين[٦٥] وأخيراً ما كاد يحل العام التاسع والأربعون بعد المئة التاسعة (١٥٤٢م) حتى نفذ فيه القتل بأمر من الشَّاه طهماسب اقتصاصاً.

---

(٦٣) الشَّاه طهماسب: هو طهماسب الأول ابن الشَّاه إسماعيل الصفوي المنوّه باسمه. تولّى الحكم على البلاد الإيرانية سنة ٩٣٠هـ- ١٥٢٣م. بعد وفاة والده، فحارب الدَّولة العثمانيَّة مراراً، وأخيراً قتل سنة ٩٨٤هـ- ١٥٧٦م.

(٦٤) كان قد حكم في السَّابق زهاء تسع سنين.

(٦٥) يقول المؤرخان الكرديان السيد محمد أمين زكي بك والسيد حسين حزني: «أن أغوز بك هذا قد حكم بلاده بالإستقلال مدَّة، دون أن تتوتَّر العلاقات بينه وبين أمراء الدَّولة الصَّفويَّة. ولمّا اتجه الشاه طهماسب سنة ٩٤٨هـ ١٥٤١م إلى دزفول لتأديب وإليها علاء الدَّولة رعناشي ووصل تلك الأنحاء، قصده وحظي بزيارته، غير انه بعد مدة من الزمن شق عصا طاعته وأساء جوار حكومته فأمر (الشَّاه طهماسب) عبداللَّه خان أستاجلو التُّركماني أن يسير إلى لرستان بجيش جرَّار، فحمل عليه عام ٩٤٩هـ - ١٥٤٢م، فاستمرت بينهما نار الحرب، فأسر الجيش القزلباشي الأمير جهان گير وقتله، ولكنَّ إبنيه الشَّاه رستم ومحمدي خلَّصا أنفسهما بالفرار إلي بغداد. ثم أصدر طهماسب الأمر بإبادة سكان لرستان، ونهب أموالهم جميعاً، فقام الجيش القزلباشي بتبديد زروعهم، وبساتينهم، وهكذا قضى على أبناء تلك الدِّيار من دون أن يميِّز بين الشَّيخ والشَّاب، أو يرحم الطِّفل والعجوز، أو يرأف بالبهائم والحيوانات. ثمَّ إنَّ الأمير الشَّاه قاسماً من الأمراء

٢٣- الشَّاه رستم بن جهانگير

لمّا أودى الشَّاه طهماسب بحياة جهانگير، قام (أبو مسلم گودرزي) مربي الشَّاه رستم يبرز إخلاصه لحكومة الشاه طهماسب، فحمل معه الشَّاه رستم من غير رغبة منه وذهب به لزيارة الشَّاه طهماسب، فلما حظي بزيارته لم يكن منه إلا أن أمر بإيداعه السَّجن في قلعة آلموت = العقاب[٦٦] مقيداً، ومنح الأمير مسلم گودرزي، إزاء قيامه بهذه الخدمة الجليلة منصب مير آخوريته (إمارة إصطبله) الخاصة، وأنعم عليه النعم الجليلة[٦٧]. أما محمدي، نجل جهانگير الثاني، فقد كان آنئذ صغير السن ولم يبلغ حداً يليق معه لتولِّي الحكم، وإدارة شؤون المملكة. فذهب به الشعب اللري إلى المحل المحصن المعروف باسم جنگله = قلعة الغابة؛ وطفقوا يقومون بتنشئته على صورة خافية، ولم يبق في لرستان من الأسرة الوارثة للحكم أحد.

ظلَّت عشائر لرستان فى اضطراب وفوضى ردحاً من الزَّمان، من دون أن يكون هناك من يترأسها. وأخيراً قام أحد لئام لرستان ممَّن له الشبَّه التام بالشاه رستم يدعي أنَّه الشَّاه رستم، وقد فرَّ من قلعة (آلموت) ودخل من غير خوف أو حذر دار الشَّاه رستم، فسرت بذلك عقيلة الشَّاه رستم التي كان قد غاب زوجها منذ بضع سنين وغمرها الفرح والغبطة، فأسست معه أساس المعاشرة. واطمأن إليه الشَّعب اللري أيضاً ولم يرتابوا في أمره ولا ساور الشك أحداً من أبنائه، وكانوا مقتنعين جميعاً بأنَّه الشاه رستم بعينه، فأذعنوا جميعاً لحكمه، وانقادوا لأمره.

فلما شاع نبأ هذه الحادثة الغريبة في قزوين، وبلغ مسامع الشَّاه[٦٨] بادر بإنقاذ الشَّاه رستم من الأسر، وأنعم عليه ببراءة حكومة خرم آباد -عاصمة مملكته-

---

المتاخمة لبلاد لرستان- وكان ختن الأمير جهانگير- أخذ يشفع لدى الشَّاه طهماسب في سحب الجيش عن المملكة اللريَّة، فأجابه إلي ذلك، كما عفا عن الأسرة لآمرة بتوسُّط من السَّيد أمير. ثم إنَّه قسَّم لرستان بين الأخوين الشَّاه رستم ومحمدي.

(٦٦) اسم لإحدى القلاع المحصنة في أنحاء قزوين.

(٦٧) يقول السَّيد محمد أمين زكي بك في كتابيه: «إن الشَّاه طهماسب لمّا قضى على جهانگير، وأدرك أنَّ الثَّورة في لرستان لاتخمد، اضطر أن يعترف بحكومة الشَّاه رستم، غير أنَّه احتال عليه أخيراً، وجلبه على يد الأمير أبي مسلم گودرزي إلي طهران ليزج به في غيابة السِّجن.

(٦٨) ذكره السَّيد محمد أمين زكي بك بلفظ الشَّاه عباس وأظنُّه سهواً، إذ لم يزل آنئذ الشَّاه طهماسب حياً.

وتوليته رئاسة العشائر اللرية، ووجهه في غاية البدار صوب مقصده فسار الشَّاه رستم بأقصى السُّرعة الممكنة كما قيل:

dB

دو منزل را يكي ميكرد و ميرفت.

أي كان يقطع مسافة مرحلتين بمرحلة واحدة.

حتى ألقى بنفسه بين أظهر شعبه. فصمم الشَّاه رستم الكاذب المزور على الهرب، وسلك طريق الخلاص، غير أن ملازمي الشاه رستم تعقبوه، فألقوا عليه القبض، وأسروه، وجاؤوا به على رؤوس الأشهاد، وصلبوه على جذع شجرة ورجموه بالعظام والحجارة حتى أهلكوه وجعلوه عظة للفجار، وعبرة للنظار.

في هذه المدة، كان أخوه محمدي قد بلغ أشده وترعرع، فجاء يطالب بالحكومة الوراثية وينازع أخاه عليها مستعداً للمجادلة والمناجزة، فأدى الأمر إلى سل السيف وإشهار السنان. وبعد ما اندلعت نار القتال واشتدت المطاحنة، توسط رجال مصلحون في القضية فقرروا إبقاء أربع مناطق «دانك» من الولاية في تصرف الشاه رستم وترك منطقتين منها لأخيه محمدي، ليقوما بإدارة الحكومة فيها مشتركاً، فرضى الأخوان بهذا الصلح، وقابلا هذا القرار بصدر رحب، وقضيا وقتا طويلا على هذا المنوال. ومازالا كذلك حتى حدود سنة أربع وسبعين وتسع مئة (١٥٦٦م) (أي الحين الذي سار فيه أمير خان الموصلو حاكم همدان إلى بلاد اللر الكبرى المعروفة ببلاد البختيارية لجمع الإتاوة والخراج، المفروضين عليها بحسب الأمر الصادر من الشاه طهماسب إذ كانت الأسرة الحاكمة منقرضة كما ألمعنا إليها وكان الشاه طهماسب قد أناط رئاسة تلك العشائر بأحد أعيان العشيرة، وكان يدعي تاج أمير استركي، على أن يدفع كل عام إلى البلاط الشاهي مبلغا جسيما من المال على سبيل الإتاوة، وكان قد ناء به كاهله وعجز عن أدائه. فأثارت مخالفته العهد حفيظة الشاه عليه، فنفذ الأمر بقتله وأناط زعامة العشائر المذكورة برجل آخر يدعى جهانگير البختياري- وكان أيضاً من وجهاء العشيرة المذكورة - على أن يسلم لنوابه كل عام زهاء عشرة آلاف بغلة. وكان قد تكفله في إيفائها الشاه رستم، وسار كذلك لجمع الخراج وتحصيل الإتاوة من القسم الخاضع من خوزستان لإمرة قبيلة

المشعشع العربية في نواحي دزفول وشستر ففي تلك الآونة كانت شاه پرور كريمة أغور وعقيلة الشاه رستم قد استحصلت أمراً سرياً إلى الأمير خان لأن ليترقَّب الفرص الممكنة فيقبض على محمدي ويرسل به إلى المقام الشاهي المعلى.

ومجمل ما بيناه مفصلا، هو أن أمير خان لما بلغ نواحي خرم آباد قصد محمدي زيارته. وفي أحد الأيام أولم أمير خان وليمة دعا إليها محمدي مع عدد كبير من رجاله إلى داره. وفيما جمعهم المجلس قبض عليه، وعلى ما يقارب مئة نفر من أعيان عشائر لرستان اللذين جاؤوا بصحبته: فأرسلهم جيمعاً مصفدين مغلولين إلى المقام الشاهي حيث صدر الأمر الملكي بإيداعهم السجن جميعاً في قلعة آلموت[٦٩].

أما ما آل إليه أمر هذين الأخوين محمدي وشاه رستم، فسنذكره ضمن الأبحاث الآتية (إن شاء الله).

٢٤- محمدي بن جهانگير

فيما كان سجيناً في قلعة آلموت زهاء عشر سنين، كان أولاده علي خان وآسلمز وجهانگير وشاهوردي قد أقلقوا لرستان بالتمرد والعصيان، ولم يكتفوا بذلك، بل نغصوا العيش على عمهم الشاه رستم تماماً، وجاوزوا الحد في الاعتداد والتطاول، فقد كانوا يخترقون حدود الممالك الشاهانية، فيشنون غارات النهب والسلب على همدان وجربادقان وسائر أنحاء إصفهان. فكلما كان الشاه رستم وأمراء الحدود القزلباشية يحاولون القيام بدفعهم واستئصال شأفتهم، لا يزدادون إلا إخفاقاً، ولا يرجعون إلا بالخيبة والخسران. وأخيراً عرض أمراء الدولة، وأركانها[٧٠] على الشاه

---

(٦٩) أورد السيد حسين حزني هذه الحادثة على صورة أخرى هي: «إن الأمير محمدي لم يزل ثائرا يمد يد النَّهب والسَّلب إلى الأنحاء المتاخمة لبلاده، ويتدرج في توسيع نفوذه، وتقوية جيشه. فأنفذ الشَّاه طهماسب الأمر إلى أمير خان حاكم همدان: أن يُغير عليه بجيش كثير العدد والعُّدة، فيأسره. فقام تلبية لأمره يزحف على لرستان، فنهض إليه محمدي وصدَّ زحفه، وقاومه مقاومة الأبطال مدَّة من الزَّمن، تطاحن الفريقان خلالها بعنف وشدَّة، وخسر الطَّرفان نفوساً كثيرة. بيد أن الأمير محمدي أخفق أخيراً، ووقع في حبال الأسر، وأرسل به إلى الشاه طهماسب، فأمر بزجَّه في السِّجن في قلعة آلموت. وهناك رواية أخرى، هي «أنَّ الشَّاه رستم هو الذي أولم لهم الوليمة، ودعاهم إلى تناولها ليحتال عليهم، فلما جاؤوا قبض عليهم، وأودعهم السِّجن...».

(٧٠) يرى السَّيد محمد أمين زكي بك أنَّ رؤساء قبائل اللرهم اللذين ارتأوا أنَّ إخماد هذه الثورة

طهماسب أن إخماد نيران هذه الفتنة متوقف على إخراج محمدي من القلعة وإطماعه بتفويض زمام الإدارة إليه، وذلك بالقيام بتسليمه إلى أحد الأمراء القزلباش[٧١] المعتمدين لمحافظته، إلى أن يحضر أولاده في البلاط المعلى، فتخمد بذلك جذوة ثورتهم الثائرة، فلما عرض هذا الرأي على محمدي رضى؛ وقرر أن يعطي النواب الشاهي زهاء ثلاثين ألف رأس من الخيل والبغال والمواشي كأتاوة، ويجلب أولاده إلى البلاط المعلى، على أن تناط به بعدئذ حكومة لرستان، ويأذن له بالعودة إليها بعد أن يترك أولاده في البلاط العالي تحت الإشراف والتربية كرهينة.

فلما أدرك الشاه طهماسب أن المصلحة فيما أرتآه أمراء الدولة وأركانها، أصدر الأمر بإخراج محمدي من قلعة آلموت، وأن يؤتى به إلى قزوين فنيط أمر المحافظة عليه بالأمير حسن بك أستاجلو[٧٢] فكتب محمدي عند ذلك إلى أولاده كتاباً يأمرهم فيه بأن يجهزوا نحو ثلاثين ألف رأس من الخيل والبغال، والغنم أي المقدار الذي وعد بإعطائه عوضاً عن إتاوة حكومة لرستان، وأن يأتوا به إلى دار السلطنة قزوين في أسرع وقت.

فلما بلغهم الكتاب، جمعوا فوراً زهاء عشرة آلاف رأس من الخيل والمواشي، وأتى بها إثنان من أولاده في غاية البدار إلى قزوين. فلما بلغا بها قرية شرف آباد الواقعة على بعد فرسخ واحد من قزوين، نزلا فيها فعرض محمدي على حسين بك قائلاً: «إن نجلَي الداعي قد بلغا قرية شرف آباد، فأجز عبدك[٧٣] أن يقصد هذه القرية ليرى المواشي والدواب ويلاحظها، حتى إذا رآها جديرة بالتقديم إلى أعتاب

متوقف على إعادة الرئاسة إلى الأمير محمدي. وقدَّموا بذلك عرائض إلى الشَّاه طهماسب، فوافق عليها.

(٧١) القزلباش: كان اسماً لجنود الدَّولة الصَّفوية التَّركمان، ولقبائلهم، فإنهَّم كانوا يتعصَّبون بعصابة حمرا ذات أثنتي عشرة ذؤابة، أسوة بأشياع علي رضي الله عنه في حرب صفِّين، وكان عددهم بين ٢٥٠,٠٠٠ و٤٠٠,٠٠٠ نسمة.

(٧٢) وفي رواية: أن الشَّاه طهماسب لمّا أدرك قرب وفاته أنقذ محمدي من السِّجن وجاء به إلى قزوين وعني به وأعطاه كتاب الأمان ولكنَّ الأمير محمدى أهتبل الفرصة فانهزم إلى لرستان وتولّى أمر الملك فيها وراسل منها الشَّاه طهماسب طالباً منه العفو فشمله بعفوة وأرسل إليه ببراءة الحكم بعد الاعتراف بحكومته مع خلع فاخرة.

(٧٣) يعني به نفسه.

الشاه، أقدم على العمل وإن لم يرها لائقة، أوقفها حتى تصل البقية المتبقية من المبلغ الموعود به، ليعرضها على أنظاركم الشريفة». فتلقى حسين بك كلماته بالقبول، وأجابه إلى ملتمسه خير إجابة، فسير نفراً من معتمدي أمرائه معه إلى قرية شرف آباد. ولما دنا الليل قال محمدي لصحبه: «إن الليل قد أرخى سدوله، فلا نتمكن من مشاهدة المواشي وملاحظتها. فلنبت الليلة هنا، لتَقَرَّ عيناي بطلعة ولديَّ اللذين فارقتهما من زمن غير يسير. فإذا انفلق الصبح - وهو مطلع الخير والنجاح - نذهب جميعاً فنلاحظ المواشي ثم نعود أدراجنا!».

استحسن أمراء القزلباش رأي محمدي، ووافقوا على المبيت هنالك تلك الليلة. فلما أدلهم الليل، وأسدل ستاره الصفيق، ما كان من محمدي إلا أن امتطى - هو وابناه -[٧٤] صهوات جيادهم الممرنة على الحروب، وهي تسابق في عدوها الرياح، ومشوا صوب لرستان. فلما أسفر الصبح اللثام، وشاع في قزوين خبر هربهم، سير الشاه طهماسب أمير خان حاكم همدان مع بعض الأمراء والأعيان في أثرهم. ولكن كانت خيول هذه الجماعة ضواغن «لا تعطى جريها إلا بالضرب»، فكلما أخبوها وبالغوا في إيجافها، لم تدرك لهم أثراً حتى هلك كثير منها. وهكذا تخلص محمدي وابناه، وجابوا هذه المسافة الشاسعة التي تزيد على مسيرة عشرة أيام، في أربعة أيام، وألقوا بأنفسهم في لرستان.

فلما علم الشاه رستم برجوع أخيه ، أعرض عن الحكم، ثم توجه في تلك السنة نفسها إلى قزوين حيث قضى بقية عمره فيها ببؤس وشقاء، من دون أن يظفر بتولي حكومة لرستان مرة أخرى حتى وفاته.

ونشر محمدي لواء الحكم في لرستان، وأذاع نداء (أنا ولا غيري) بحيث سمعه كل من ألقى السمع وهو شهيد. وسلك، في الجملة، سبيل المصانعة مع الشاه طهماسب وابنه الشاه إسماعيل الثاني[٧٥] حتى جعلهما راضيين عنه، فلما دالت

---

(٧٤) وهناك رواية أخرى: هي أنَّ إبنيه بقيا كرهينتين مدَّة من الزَّمن، ثم أهتبلا الفرصة فهربا.

(٧٥) هو الشَّاه إسماعيل الثَّاني بن الشَّاه طهماسب. كان في حياة أبيه مودعاً في السِّجن في قلعة(آل موت) فلمَّا قتل أبوه سنة ٩٨٤هـ -١٥٧٦م أنقذته شقيقته پيري خانم من السِّجن، وقلَّدته زمام الحكم. فلبث حاكماً زهاء سنة واحدة، ثمَّ توفي مسموماً سنة ٩٨٥هـ -١٥٧٧م.

أيام الشاهين المذكورين، احتمى بالسلطان مراد خان[٧٦]، فأضاف إلى إيالته من الأملاك الهمايونية الخاصة في بغداد وأنحاء بندنجين - مندلي وجسان - جصان وبادراني- بدره وتورساق، ما يعادل جبايته وخراجه اثني عشر قنطاراً من الذهب العثماني(المساوي لست مئة تومان من نقود العراق الرائجة) على أن يستغلها مادام يذعن للأوامر السلطانية، ودعم ذلك بمنحه كتاب عهد بإيالة لرستان، وإعطائه خلعاً فاخرة ومنطقة ذات سيف مرصع بالذهب.

بيد أنه لم تمض سنوات حتى حملت قلة اعتناء محمدي بأمير أمراء بغداد وإهمال قيامه بالخدمات المطلوبة على استصدار الأمر السلطاني- بصورة خفية - للقبض عليه وإيداعه السجن، وقد أخذ يتصدى له، حتى إن واحداً من أميري الأمراء «بگلربگي» أزمع القبض عليه، لم يكن إلا أن غض النظر عن جبايات أملاك بغداد الهمايونية، وانقطع بعدئذ عن الاختلاف إلى تلك الأنحاء المجاورة لبغداد.

ثم اهتبل ابناه المدعوان شاه وردي وجهانگير -وكانا في بغداد كرهينتين- فرصة امتطاء الپاشا جواده، فخرجا إلى ضواحي بغداد ولاذا منها بالفرار[٧٧]. وصادف في هذه الآونة أن أخذ الشاه سلطان محمد بن الشاه طهماسب[٧٨] يخطب ابنة محمدي لولده السلطان حمزة ميرزاي، ويدق باب الصلح معه، فانتهز هذه الفرصة فلبى طلبه واختار كالسابق ملازمة القزلباش. غير أنه لم تمض على ذلك سنون، حتى التحق بالدار الآخرة.

٢٥- شاه وردي بن محمدي

جلس بعد وفاة أبيه على عرش لرستان بإسعاف من أعيان المملكة، وإجماع من وجهائها. فمنح من ديوان الشاه سلطان محمد كتاب عهد بالإيالة[٧٩] ثم لما استولى

---

(٧٦) يعني به السُّلطان مراد خان الثَّالث بن السُّلطان سليم خان تولّى السَّلطنة في عام ٩٨٣هـ - ١٥٧٤م لغاية ١٠٠٣هـ -١٥٩٤م. وكان احتماؤه به في حدود سنة ٩٩٢هـ-١٥٨٣م.

(٧٧) وفي رواية أنَّهما لجنا إلى الفرار بعد ما تأكدا من وفاة أبيهما.

(٧٨) هو السُّلطان محمد خدابنده بن الشَّاه طهماسب الصَّفوي، تولَّى السَّلطنة سنة ٩٨٥هـ-١٥٧٧م بعد وفاة أخيه الشَّاه اسماعيل الثَّاني، وظلَّ حاكما حتى عام ٩٩٥هـ-١٥٨٧م.

(٧٩) لما قبض شاه وردي خان على زمام الحكم في لرستان آنصرف إلى تنظيم أمورها وتوسيع

الشاه عباس[٨٠] على سلطنة إيران، أخذ يخطب شقيقته، التي كانت زوج أخيه الشاه حمزة ميرزاى سابقاً، وعقد عليها النكاح، وزوجه بدلا عنها بنت ابن عمه حفيدة بهرام ميرزا، وانعقد بينهما ميثاق الولاء والاتحاد[٨١]. ومازالا كذلك حتى صدرت الإرادة من بلاط الشاه عباس بتفويض أغورلو بك البياتي شؤون إيالة همدان، فأدى ذلك إلى اندلاع نار النزاع بينه وبين أغورلو بشأن بروجرد التي كانت موضع منازعة قديمة بين عشيرتي البيات واللر، وأفضى إلى أن يعلن الطرفان الحرب، ويحشدا أبناء قبائلهما وقواهما لخوض غمارها، وتراشقا، فشاءت الأقدار أن يمنى أغورلو بك البياتي بالقتل مع نفر كثير من عشيرته البيات المتفرقين، وتكون أموالهم وأثقالهم غنيمة في يد أبناء اللر، فيطلقوا فيها يد النهب والسلب. فلم يكن من (الشاه قولي أخي أغورلو بيگ) إلا أن نهض لرفع الشكوى والتظلم، فجاء إلى قزوين وحظي بزيارة الشاه عباس وعرض عليه ماجرى لأخيه من فاجعة قتله مع جمع

حدودها، فتدرَّج في نفوذه وألَّف جيوشاً وملأ خزينته بالمال، ووفَّر الأسلحة والمعدَّات الحربيَّة، ونشر العدل والرأفة وبسط الرَّفاه والرَّخاء، فأحبَّه سكان لرستان حباً جمّاً، ودانوا لطاعته. ولما حلَّت سنة ٩٩٧هـ-١٥٨٨م زحف سنان باشا جغاله زاده بجيش بغداد على نهاوند واحتلَّها، وشتَّت سكان تلك الدِّيار، وشيَّد فيها قلعة، وأحرج موقف قورقماز خان والي همدان، انحاز اليه أمراء الأكراد ولاسيما عشائر شهرزور، وتعرَّض لحدود علي شكور وزحف أكراد شهرزور على همدان وذهب شاه وردي خان على رأس قوة إلى همدان ليسعف قورقماز خان. ثم أسدى إليه النَّصح بألا يبرز للجيش العثماني بقوة ضئيلة. ولكن عدَّ نصحه خيانة ورفض الإصغاء إليه فاغتاظ شاه وردي خان ورجع بقواته إلى لرستان، وأخذ في تحصينها وتحكيم حدودها، وقبول العشائر الكردية الملتجئة إلى بلاده وإقامتهم فيها. واستقل بشؤون المملكة استقلالاً تاماً، وحسَّن صداقة الجوار مع الدَّولة العثمانيَّة. ثم لمّا تصالحت الدَّولتان، ولم يظفر شاه وردي خان بمعاونة الدَّولة العثمانيَّة انحاز سنة ١٠٠٠هـ-١٥٩١م إلى الدَّولة الصَّفوية، واتفق مه الشَّاه عباس وتصاهرا.

(٨٠) هو الشَّاه عباس الأول بن السُّلطان محمد خدابنده الصَّفوي، تولّى السَّلطنة من سنة ٩٩٥هـ-١٥٨٧م لغاية سنة ١٠٣٧هـ-١٦٢٨م.

(٨١) يروى أنَّ مسامحة الشَّاه عباس إياه ومصاهرته له، لم يكونا إلا تخديراً للأعصاب، وإغفالاً له لانتهاز الفرصة للقضاء عليه. وإنَّه لم يزل يترقب الفرص للتَّجني عليه، حتى وجد لذلك مساغاً، فأرسل أغورلو سلطان البياتي التُّركماني حاكم إصفهان إلى منطقة بروجرد لجمع الضَّرائب والإتاوات، فتوتَّرت العلاقات بينه وبين شاه وردي خان، وتصادما، فأبيد من جرائه أغورلو وعدد من الأمراء التُّركمان.

من وجهاء عشيرة البيات وما تكبدوه في أموالهم وأمتعتهم من الخسائر الفادحة بسبب النهب والسلب. فاتقدت نار غضب الشاه عباس، ونهض بنفسه في اليوم ذاته مع نفر من الذين كانوا بين يديه، يغير على شاه وردي[٨٢].

فلما علم شاه ويردي بمسيرة الشاه عباس إليه، اجتاز مع نفر من خواص أتباعه وأهل بيته ماء سيمره - صدمره[٨٣]، وهو يعاني النصب والجهد البالغ، فاعتصم بنفسه بجبل كلاه[٨٤]، وظلت البقية الباقية من عشائره وأتباعه في الشاطيء الآخر لا تتمكن من العبور، فأسر جميعها الشاه عباس[٨٥]. ثم إن الشاه أنعم بناحية خرم آباد - مركز حكام لرستان - على مهدي قولي سلطان شاملوي حفيد اغزوار سلطان[٨٦] وجعله أمير الأمراء على الحدود. وأناط به حفظ التخوم والثغور وحماية القبائل والعشائر المترددة في تلك الأنحاء، وربط به عدداً من الأمراء القزلباش، ثم عطف عنان العزيمة راجعاً أدراجه إلى دار السلطنة (قزوين).

ولما أدرك شاه وردي أن الشاه عباس قفل راجعاً، حشد حول رايته جمعاً من عشائر گوران - الجوران وخلقا كثيراً من عشائره وقبائله ومن سائر العمائر والأفخاذ

---

(٨٢) يقال إنَّ الشَّاه عباس كان متجهاً في هذه الآونة إلى خراسان لمحاربة آل أوزبگ، بيد أنَّه لمّا سمع بهذه الكارثة عرج عنان جواده على لرستان.

(٨٣) هي مدينة جانقذ القديمة.

(٨٤) يقول السَّيد حسين حزني في كتابه (لرستان): إنَّه آنسحب بجيشه إلى جبل گوره كوه الواقع على حدود بغداد- لرستان على بعد عشرين فرسخاً من صدمره، وإنَّ الشَّاه عباس جرَّد عليه جيشاً كبيراً يغزو فيه. غير أنَّه لمّا علم باتجاه الجيش إليه غادره نحو أنحاء بغداد، ورجع جيش الشاه عباس أدراجه.

(٨٥) في المصدر المذكور أنَّ كثيراً من أمراء لرستان انحازوا إلى الشاه عباس وأشاحوا بوجههم عن شاه وردي. منهم الأمير قيصر خان بيدل من أمراء اللر العظام، وكان يرأس ألفي بيت من عشيرته.

(٨٦) كان الشَّاه عباس قد قسَّم لرستان الصُّغرى إلى قسمين: منح أحدهما لمهدي قولي المذكور، والقسم الآخر للسُّلطان حسين بن الشَّاه رستم، ودعا اليه جميع رؤساء عشيرة اللر الصُّغرى وأعيانها، فأنعم عليهم وأوصاهم جميعاً أن يذعنوا لحُكم السُّلطان حسين، فتلقوا أمره بالقبول، وقدَّموا إليه هدايا مئة ألف رأس من الغنم. وبارح الشَّاه عباس لرستان إلى قزوين في اليوم العاشر من شهر محرم من سنة ١٠٠٢هـ-١٥٩٣م بعد أن أعاد منها عشيرة قره ألوس إلى منطقة علي شكور.

والبطون وسار بهم إلى إجلاء مهدي قولي سلطان، فأجتاز ماء سيمره – صدمره من دون أن يرعبه بأس العدو، فجاء وعسكر في ظاهر خرم آباد متأهباً للنزال وخوض غمار الحرب، ثم اشتبك الفريقان وتطاحنا، فخالف الحظ جيش اللر فأخفق، وهكذا تشتتت القوات التي كان يقودها شاه وردي شَذَرَ مَذَرَ. ولجأ بنفسه إلى الفرار. وأخيراً يمم وجهه شطر بغداد ليعرض طاعته على الدولة العثمانية. فلما استخبر الشاه عباس عن هذه الحادثة، أسرع إلى الحيلولة دون ذلك[٨٧]، فعفا عن جرائمه وأرسل إليه كتاب عهد بإيالة خرم آباد وتوليته علي حكومة لرستان على الشكل الذي كان يخضع لتصرف آبائه وأجداده، وأهدى إليه منطقة وسيفاً مرصعاً وتحفاً نادرة وخلعاً سلطانية فخمة.وهكذا تقلد شاه وردي زمام الحكم على تلك الولاية، للمرة الثانية، والآن والتاريخ الهجري في عامه الخامس والألف (١٥٩٦م) يتمتع المترجم له بالسلطنة على لرستان[٨٨].

---

(٨٧) إن الشّاه عباس بعدما أجلى شاه وردي عن بلاده، ندم عمّا فعل، فقد كان شاه وردي حاكماً جليل الشّان،وبطلاً معروفاً، ولم يكن ليحب احتماءه بالدَّولة العثمانية، إذ كان يعلم أنه سيقلق بال سكان خوزستان وفارس وعلي شكور ولرستان، ويدكُّها بشن غارات النَّهب والسَّلب عليها، وإن الدولة العثمانية ستمده يوماً ما بقوة يزحف بها على إيران، لذلك لم يزل يفكر في شأنه وفي إعادته إلى بلاده. وأخيراً أرسل اعتماد الدَّولة فرهاد خان إلى لرستان بمهمة التفتيش، وأوصاه أن يسير في غاية البدار، ويبذل الجهود منها للتفاهم مع شاه وردي وأقناعه وإعادته. فذهب اعتماد الدَّولة فرهاد خان وكرس الجهود وتمكن بتبادل الوفود معه من تطمين باله وإقناعه. ثم قرَّرا المواجهة والملاقاة، فعينا إحدى المقابر ملتقياً فيها وتبادلا الحديث وأمَّنَ كل منهما صاحبه بالأيمان المغلظة وأبرما معاهدة الصُّلح. كل ذلك في سنة ١٠٠٣هـ١٥٩٤م. ثم عاد شاه وردي إلى عاصمة خرم آباد ، فأخليت وأجلس على سرير الحكم، وألبس خلع الشَّاه عباس. فعند ذلك كافأ أعوان اعتماد الدَّولة بألف ذهب، وألف جيشاً سار به معه إلى خورستان لإخماد الثورة النَّاشبة فيها.

(٨٨) هذا ما انتهى إليه عهد المؤلف، والحقيقة أنه لما يحل عام ١٠٠٦هـ١٥٩٧م حتى أخذ الشَّاه عباس يتجنى على الشاه وردي، وهو مزمع القضاء عليه، والفتك به والثأر منه، فحشد جيشاً كبيراً سار به أولاً، إلى إصفهان، ولكنه عرج في طريقه على لرستان وباغَت شاه وردي بحملة عنيفة فلما أدرك شاه وردي أن الخطر محدق به، لجأ إلى الفرار، فهرب أولاً إلى الحدود العراقيَّة، ثم ذهب يعتصم بقلعة جنكله، ولكن جيش الشاه عباس الذي كان يقوده الله وردي خان لم يزل يتعقبه، حتى حاصره في القلعة المذكورة، حيث تمكن منه بعد مناوشات وتراشق، فأسره وذهب به إلى صيمرة صدمره وسلمه إلى الشاه عباس. فلما أحضر بين يديه أطلق لسانه على الشاه بالكلام

البذيء بالرغم من أنه كان ناوياً عفوه عنه، فأدى به إلى هلاكه. ثم إنه حاول تولية حسين خان بن منصور بك سلويزي على لرستان إلا أنه غير رأيه تطييباً لبال الاسرة الآمرة. غير أن ذلك سبّب ردّ فعل لدى الشاه عباس فأحدث مذبحة عامة في أسرة شاه وردي وذوي قربته وأشياعه . فلم يدع منهم حياً من ذكر وأنثى، وسجل لنفسه بذلك العمل الشنيع تأريخاً يندى له الجبين. ثم ناط حكومة لرستان بالأمير حسين خان المذكور، وكان ابن سبط شاه وردي خان وأحد أبناء قبائل اللر الكردية الساكنين في پشتكوه. هذا ويقول السيد محمد أمين زكي بك: إن الأمير حسين خان هذا، وإن تولى الحكم مُدة من الزَّمَّن، غير أن نادر شاه (طهماسب قولي) لّما جاء إلى الحكم، أقطع بلدان صدمره وهيزماس وپشتكوه لعشيرة اينانلو. وهكذا أسدل الستار على حكومة اللر الصُّغرى. ولكن حفدة شاه وردي تمكنوا من المحافظة على إمارة صغيرة في پشتكو دامت تحت سيطرتهم، وتعاقب عليها ابتداء من عهد حسين خان حكام عرفوا باسم الولاة وهم: حسين خان ، إسماعيل خان، أسد خان، حسن خان،كلب علي خان، علي خان، حيدر خان حسين قولي خان، غلام رضا خان. وفي عهد هذا الوالي الأخير عمد رضاشاه پهلوي إلى ولاية لرستان فألغى إمارتها المستقلة، سنة ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م. ونصب عليها حاكماً عسكرياً ولقد كتب مستر أدموندس الذي جاب بعض أصقاع لرستان وزار واليها غلام رضا خان مقالا نقله عن كتاب أَلَّفَه الوالي المذكور جاء فيه:«أن الذين تولوا الحكم في لرستان هم هؤلاء حسين الأول، شاه وردي، منصور، حسين الثاني، علي مردان، منوچهر، شاه وردي الثاني، إسماعيل، محمد، أسد الله، محمد حسين، محمد حسن حيدر، حسين قولي، غلام رضا خان» دفن الثلاثة الأولى = في مقبرة إمام زاده بمدينة خرم آباد، أما الرابع «حسين الثاني» فقد أنعم عليه الشاه بمنصب الولاية لأنه قام بصد عشيرة قرة أولوس عن مبارحة زهاو والدخول في الأراضي العثمانية. أما علي مردان فإنه بعد أن سمل عيني أخيه شاه وردي الثاني، أوفده نادر شاه سفيراً إلى الإستانة، وفيما عاد توفي في أصقاع كركوك فدفن في مقبرة الإمام زين العابدين (يعني به مزار الإمام زيد بن علي في قرية إمام بشمال شرقي طاوق، ولبث إسماعيل حاكماً زهاء ثمانية أعوام، وقد جمع مالاً وفيراً في إصفهان. أما محمد حسن خان فقد عينه أقا محمد القاجاري والياً على لرستان على مايرويها السيد محمد أمين زكي بك عن عمر يناهز ٩٠ سنة) ثم أصبح والياً على قسم من پشتكوه، وتوفي سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٣٩م - أو سنة ١٢٥٩-١٨٤م ثم إن لرستان قسمت بين أولاد محمد حسن الثلاثة: علي وأحمد وحيدر وقد كان علي هذا حاكماً قديراً له شهرته في سنة ١٢٥٨هـ-١٨٤١م. حتى إن شيخ عشيرة بني لام كان يخضع لأمره، ويؤدي إليه الجزية والخراج، ثم تولى حسين قولي خان الحكم على عهد ناصرالدين شاه فاجار وأبدى خدمات جليلة للدولة الإيرانية وبعد أن تولى علام رضا خان الحكم وقام بخدمات، ألغيت الإيالة، وضمت إلى الدولة الإيرانية.

الفصل الخامس

في البحث عن سلاطين مصر والشام المعروفين بالأسرة الأيوبية

١- شادي بن مروان

إن ولاة مصر الخبر، وحماة مملكة السير، شرعوا في شرح هذه الحكاية وفتحوا ولايتها بهذه الرواية وهي: «أن جد ملوك مصر المدعو شادي بن مروان[١] الذي ينتمي في الأصل إلى الأكراد الرونده[٢] الضاربة في دوين[٣] من أعمال آذربيجان، التي آل إليها الخراب الآن وتعرف بقرية كرنى چغرسعد، كان على عهد السلطان

---

(١) كان (شادي بن مروان) هذا من بيت عريق في المجد والسؤدد، ورئيساً لبني عشيرته في قرية (أجدنكان)- على باب (دوين)- ومن أمراء ملوك (الدولة الشَّدادية) الكردية على عهد الأمير فضلون الثالث. غادر بلاده من جراء احتلال الأمير قوتي التُّركماني لتلك البلاد، وإخضاعها لسلطان السَّلاجقة.

(٢) جاء في أخبار الدُّول «أنه من عشيرة حميدي الكردية». هذا وأما رونده = رواندا = روندي = روادي فهي فرع من عشيرة الهذبانية = (ئازابەنى Aza Beni) التَّي كانت تقطن أنحاء (أربيل - آذربيجان) وتضرب في أصقاع (أشنه - اران).

(٣) اختلف المؤرخون في تعيين محل دوين هذه، فقال بعض: إنها كانت بين أربيل - رواندوز بالقرب من قرية ديره حرير، وقد اتخذت حيناً ما عاصمة للحكومة السورانية = الصهرانية. يؤيِّد هذا الرأي العلامة الكردي الملامحمد بن الحاج الهزار ميردي نقلاً عن ابن جنسه ابن خلكان حيث قال «دوين: بضم الدَّال وكسرالواو، بلدة قرب أربل خرَّبت أكثر ديارها، وتعرف أنحاؤها اليوم بولاية صوران». وقال البعض الآخر: إنها من أعمال أذربيجان، وكانت على حدود أران = أريقان وغرجستان = جورجيا.

[وهذا ما يراه المؤلف نفسه وكثير من المؤرخين المعاصرين أمثال الدكتور أحمد بيلي ومعالي السيد محمد أمين زكي بك. وقال آخرون: إنها بدوين أي بتوين الحالية الواقعة في منطقة كويسنجق وهذا رأي القاضي محي الدين].

مسعود السلجوقي[٤] قد عينه أحد نوابه،[٥] أميرا على قلعة تكريت[٦]، ولما ألَّت به نازلة الموت، وشق الأجل جيب حياته، ووافاه، حل ابنه الأكبر نجم الدين أيوب[٧] محله.

٢ و ٣- نجم الدين أيوب ، وأسدالدين شيركوه :

وفيما كان نجم الدين ايوب سالكا ذات يوم مع اخيه أسد الدين شيركوه[٨] طريقا لحقتهما امرأة تتظلم باكية نائحة، وقالت لهما: «إن فلانا قد راودني وناكني قهراً،

(٤) هو السلطان مسعود بن السلطان محمد بن ملك شاه السجلوقي تولى السلطنة في بغداد عام ٥٢٩هـ - ١١٣٥م وتوفى عام ٥٤٧هـ - ١١٥٢م.

(٥) يعني به الأمير جمال الدين بهروز المجاهد الإغريقي الذي كان فيما مضى عبداً في دوين، ثم تدرج في التسامي حتى اعتمده شادي بن مروان المذكور. ولم يزل مقرباً لديه حتى نكبت الأيام شادي نفسه، وانحط مركزه. فعندئذ فر الأمير جمال الدين بهروز من دوين بسبب خصي لحقه، واتصل بدولة ملك شاه السلجوقي سراً، وتعلق بخدمة مربي بنيه. حتى إذا مات ذلك المربي، أقامه السلطان مقامه. فظهرت كفايته، وعلت منزلته عنده، حتى ولاه محافظة بغداد. فراسل في هذه الأيام (شادي)، ودعاه إليه. فجاءه مع بنيه. ولما أقطعه السلطان قلعة تكريت، ناط أمورها بـ (شادي) الذي قام بإدارة شؤونها حتى أدركته المنية، فدفن فيها وشيدت على قبره قبة شاهقة. ثم ولى بهروز مكانه نجم الدين أيوب.

(٦) هي اليوم بلدة صغيرة، تقع على الشاطئ الغربي من نهر دجلة ومركز ناحية تابعة لقضاء سامراء وكانت فيما مضى بلدة كبيرة مسورة بها قلعة متينة ضخمة.

(٧) هو الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان من رؤساء عشيرة (روادي)، أحد فروع عشيرة هذبان الكردية. ولد في قرية أجدنكان بالقرب من دوين - على ما هو أصح الروايات - فانتقل به أبوه إلى الموصل، ثم بغداد ثم تكريت. فلما توفى أبوه، تولى منصب محافظية تكريت مكانه، بيد أنه أقصي عنها لحادثة جرت لأخيه شيركوه فنزح إلى الموصل، حيث عينه عماد الدين الزنكي صاحب الموصل محافظاً لمدينة بعلبك. وأخيراً تولى قيادة جيش الشام. ثم عينه نور الدين الزنكي حاكماً عليها. وأخيراً لما استقر لأبنه السلطان صلاح الدين يوسف المقام في مصر انتقل إليها. ثم سقط عن جواده عام ٥٦٨هـ ١١٧٢م فمات على أثره..

(٨) هو الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي الملقب (أبا الحرب). سار مع أبيه إلى بغداد ثم انتقل معه إلى تكريت. فلما توفى أبوه وتولى أخوه نجم الدين أيوب المحافظية مكانه، اتفق أن قتل أحداً من الضباط السلجوقيين، لقيامه بالتعرض لامرأة، الأمر الذي أدى إلى إقصائه مع أخيه عن القلعة المذكورة. فانتقل مع أخيه إلى الموصل وانخرط في جيشها، فتدرج في التقدم وتقلد كثيراً من المناصب حتى أصبح قائد جيش نورالدين وقام بإمارة الحج سنة ٥٥٥هـ -

فأحضر أسدالدين المعتدي وانتزع منه الرمح الذي كان في يده، فطعنه به طعنة في منحره، فلما شاهد نجم الدين ايوب هذه الواقعة بادر إلى تصفيد أخيه، وعرض الواقعة على نائب السلطان مسعود، فرد عليه ذلك الأمير بما فحواه: «كانت تربطني بالمقتول رابطة الود والصداقة على أساس متين. ولا جرم إذا لاقيتكم فسأطالبكم بثأره، لذلك أرى من الأحسن، أن تغادروا منطقتي، حتى لا نتلاقى»[٩].

فلما تلقى نجم الدين هذا الجواب، اتجه مع أخيه أسد الدين شيركوه نحو الموصل، فما حلا بها، حتى رحب بهما صاحبها أتابك عماد الدين الزنكي[١٠] وقابلهما بحسن وفادة وإعزاز، وأكرم مثواهما[١١] ولما فتح بعلبك، ولى نجم الدين أيوب عليها.

كان نجم الدين أيوب هذا أميراً جميل الصورة، طيب السيرة، متحلياً بالحنكة والعقل والديانة، ومتخلقاً بالعدل والأمانة، وقد بنى في بعلبك أيام حكمه بها رباطاً للصوفية أسماه النجمية. وأقام معالم العدل والنَّصَفَه في تلك الولاية، حتى أحيا بهما الشعب، ثم لما توفي عماد الدين الزنكي، قصد هو وأخوه أسد الدين، نور

١١٦٠م، كما سار إلى مصر لمساعدة الخليفة العاضد باللّه، ومحاربة الإفرنج ثلاث مرات متتاليات حيث استوزره العاضد باللّه في المرة الأخيرة بتأريخ ١٧ ربيع الآخرة لسنة ٥٦٤هـ - ١١٦٩م ولكن الأجل لم يمهله، فقد توفى في ٢٢ جمادى الآخرة للسنة نفسها، فنقل جثمانه إلى المدينة المنورة.

(٩) يقول الأستاذ محمد كرد علي في كتابه القديم والحديث: إن الشخص المعترض لتلك المرأة المستغيثة كان رجلا نصرانياً من ضباط حامية القلعة، وإن صلاح الدِّين الأيوبي ولد في الليلة التي بلغ فيها نجم الدين أيوب بترك القلعة، وكانت الدنيا ضيِّقة في عينه، الأمر الذي أدى به إلى أن لايستبشر بالمولود، وأن يتشاءم به، إلى أن حضر بين يديه كاتب له عرض عليه: «ما ذنب هذا الطفل الذي أشحت بوجهك عنه وما أدراك أنه لا يصبح ملكاً عظيم الشَّأن».

(١٠) هو أتابك عماد الدين الزنكي بن آق سنقر، تولى الحكم في بغداد والموصل سنة٥٢١هـ-١١٢٧م. وقتل سنة ٥٤٠هـ ١١٥٥م، عند حصاره قلعة جعبر.

(١١) لم يقصد نجم الدين أيوب، نورالدين محموداً مع أخيه. إلا لأنه تعرف به سابقاً، وقد مهد لنفسه السبيل، وذلك أن أتابك كان قد جاء سنة ٥٢٦هـ-١١٣٢م يحارب الجيش السلجوقي في جنوبي تكريت بيد أنه أخفق واندحر أندحاراً شنيعاً، فعرج على تكريت، فاستضافه نجم الدين أيوب وأجازه من نهر دجلة على متون القوارب والزوارق.

الدين محموداً[١٢] ففازا بعطفه، وشملهما بإنعامه، كما أناط رئاسة جيشه وقيادته مع حكومة حمص بالأمير أسد الدين.

كان العاضد بالله الإسماعيلي والي[١٣] مصر يستنجد بالأتابك نور الدين، ويطلب منه مده بالمعونة والمساعدة للذود عن حوزة الإسلام، ودفع الإفرنج[١٤] الصليبيين، فأمده نورالدِّين ثلاث مرَّات بجيوش يقودها أسد الدِّين الَّذي لم يلبث في المرَّة الأخيرة أن أودى بحياة شاپور[١٥] وزير العاضد باللّه برغبة منه، وحلَّ محلَّه في الوزارة. غير أنه لم يكن قد قطف من رياض الوزارة وردة، حين غرس الأجل شوك المنون في أعماق قلبه، قبل أن يمضي على تسلّمه المنصب المذكور خمسة وستون يوماً، وقد أدركته الوفاة يوم السَّبت الثاني من جمادى الآخرة من سنة أربع وستين وخمس مئة (٢٣ مارس ١١٦٩م) فحلَّ محلَّه ابن أخيه صلاح الدين بن نجم الدين أيوب.

---

(١٢) هو نورالدين محمود بن عماد الدين الزنكي ولد في ٧ شوال لسنة ٥١١هـ ١١١٧م بمدينة حلب وتولى الملك فيها سنة ٥٤٠هـ- ١١٥٥م بعد وفاة والده. كان ملكاً عادلاً دافع عن حوزة الإسلام كثيراً فحارب الإفرج ونزع منهم كثيراً من البلاد وعمر كثيراً من القلاع وضرب حول عدد من المدن أسواراً وشيَّد عدداً من المعاهد الخيرية مابين مدارس ودور للحديث وقد تدرج في توسيع بلده كثيراً وحكم بالاستقلال ثمانية وعشرين عاماً وتوفي عام ٥٦٩هـ-١١٧٣م في مدينة دمشق ودفن فيها.

(١٣) والياً كان على مصر أم خليفة؟ إنه من الخلفاء الفاطميين العبيديين والخليفة الحادي عشر وأسمه عبدالله بن يوسف بن الحافظ تولى الملك سنة ٥٥٥هـ- ١١٦٠م فتياً . أما موته فكان عام سبع وستين وخمس مئة(١١٧١م).

(١٤) الإفرنج: كلمة معربة من لفظة فرنك الإيرانية كانت تطلق سابقاً على أمة حرة مؤلفة من جملة أسر جرمانية تسكن بطائح نهر الراين الأسفل وهي من أشهر الأمم التي ظهرت في القرنين الثاني والثالث قبل المسيح ثم أطلقها العرب على جميع الغربيين الذين أغاروا على البلاد المقدسة واشتركوا في الحروب الصليبية.

(١٥) كان شابور = شاور هذا، قد نصب حباله للقضاء على أسد الدِّين شيركوه وأصحابه، وقررَّ أن يستضيفهم في بيته، فيهتبل منهم الفرصة، فيبيدهم عن بكرة أبيهم. غير أنَّهم أُستخبروا بذلك وأدركوا سوء نيَّته، فتربَّصوا به الفرص. وفيما حلَّ ذات يوم المعسكر قبض عليه صلاح الدِّين وصفده وأرسله إلى الخليفة ليرى فيه رأيه. فأعاده الخليفة إليهم ليجتزُّوا رأسه، ثم يرسلوه إليه. وهكذا قضي على هذا الوزير الخائن الَّذي كان يريد تسليم البلاد إلى الإفرنج.

٤- صلاح الدِّين يوسف بن نجم الدِّين أيوب :

تمكَّن بفضل إلمامه ودهائه أن يبذّ أركان دولة العاضد في مدة قصيرة، ويتقدم في مناصبه حتى فاز بلقب الملك النّاصر. ثمّ لمَّا استتبَّ له الأمر في مصر، أوفد إلى نورالدِّين محمود من يعرض عليه التماسه في أن يأذن لأبيه بالإنصراف والقدوم إلى مصر فلبىّ نورالدِّين ملتمسه بحفاوة واعزاز وأذن لأبيه نجم الدين أيوب بالذّهاب إليه في مصر. فما حلَّ اليوم الرّابع والعشرون من شهر رجب من سنة خمس وستين وخمس مئة (١١٦٩م) حتى بلغ ظاهر مصر فاستقبله الخليفة العاضد بحفاوة بالغة وتكريم وتبجيل. وهكذا قرَّت عينا نجم الدِّين أيوب اللتان أصبحتا من فراق ابنه مصداقاً لآية ربِّه [وابيضت عيناه من الحزن] برؤية طلعة ولده صلاح الدين يوسف كما احتفى الولد بوالده البَرَّ الجليل أبلغ حفاوة، وعزم أن يتخلى له عن كرسيِّ الوزارة، غير أنَّ ذلك الأب الشفيق أبى قبول ذلك وانصرف صلاح الدَّين إلى مزاولة أعماله والقيام بإدارة شؤون مصر.

في أوائل محرَّم الحرام من سنة سبع وستين وخمس مئة (١١٧١م) انحرفت صحةَّ العاضد وأصابها وهنٌ وفتور ولبث كذلك حتى يوم عاشوراء حيث ارتحل إلى دار الآخرة[١٦] فاستولى صلاح الدِّين على الخزانة الإسماعيلية المفعمة بالنُّقود والجواهر النَّفيسة والأمتعة النَّادرة، واستقل بالملك وإدارة الدَّولة، فاستمال الشعب والجيش بالعدل والنِّصَفَة وحسن العناية. ولقد أورد اليافعيُّ في تأريخه (٣ - ٤٤٥) أنَّه

---

(١٦) يدَّعي صاحب (أخبار الدول) في كتابه (ص٩٩) أنَّ «صلاح الدِّين بعد أن أُستوزر قبض على العاضد وجعله في قصر تحت الحرر إلى أن مات...» ولكنِّي لا أكاد أقرُّ هذا الإدِّعاء، فإنَّ صلاح الدِّين الَّذي كان يعامل الإفرنج الواقفين له بالمرصاد، تلك المعاملات الجميلة: من إرسال الأطباء لمداواة جرحاهم والثَّلج لتبريد ماء الشرب و... لا يتأتّى منه أن يعامل وليَّ نعمته - إذا صح هذا التَّعبير - الَّذي استوزره بعد عمِّه بمثل هذه المعاملة لأجل الظَّفر بكرسيِّ السَّلطنة الَّذي كان يصير إليه حتماً، هذا إلى أنَّ جلَّ المؤرِّخين لا يرون هذا الرَّأي، حتى إنَّ جرجي زيدان عكس هذه التُّهَمة فقال: «إنَّ العاضد كان يحوك الدَّسائس للقضاء على صلاح الدِّين. وقد تآمر لذلك مع الشَّيخ سليمان المحتال الَّذي كنى نفسه (أبا الحسن) وانتسب إلى الفاطميِّين رغبة في الحصول على ولاية العهد والتَّزوج بالأميرة ست الملك أخت الخليفة، غير أنَّ عدم رغبة ست الملك فيه لكونها قد شغفت بحبِّ عماد الدِّين من خاصة السُّلطان صلاح الدِّين ومبادرة الأجل بالقضاء على الخليفة جعلا خططهما غير ناجحة.

«لمّا أستولى صلاح الدِّين على القصر الذّي كان فيه العاضد وعلى أمواله وذخائره، اختار منه ما أراد، ووهب وباع ماشاء. وكان فيه من الجواهر والذخائر النَّفيسة مالم يكن عند ملك من الملوك ممَّا جمع على طول السنِّين. ومن ذلك قضيب من الزمرُّد، طوله نحو قصبة ونصف والخيل والياقوت وغير ذلك من الكتب المنتخبة بالخطوط الجيِّدة نحو مئة ألف مجلدً».

في الأيام الأولى من تقلد صلاح الدين الحكم، دعت بعض البواعث أن يمتعض منه نورالدِّين ويزمع على أن يتجه إلى مصر فيجلي عنها صلاح الدِّين وينصِّب غيره، فبلغ هذا النَّبأ مسامع صلاح الدِّين فجمع إليه أباه وخاله وذوي قرباه وأمراءه ليعنوا بالحيلولة دون هذه الحادثة. فتقارعوا في إبداء الرأي. فقام تقيُّ الدِّين[١٧] إبن أخي صلاح الدِّين خطيباً فيهم وقال: «إن صلاح حكومتنا في أنَّه: إذا سار نورالدِّين إلى هذه البلاد ان نثور في وجهه ونبرز له بجيوش جَّرارة ونحول دون تمكُّنه من القبض على زمام ادارة المملكة» إلاّ أن نجم الدِّين أيوب استهجن رأيه وفغر فاه بزجره وأطلق لسانه عليه بالشَّتم والسِّباب وأنكر عليه ذلك ثمَّ التفت إلى صلاح الدِّين وقال:

إنَّني والدك وشهاب الدِّين خالك، ونحن أشفق من هذه الجماعة بك إذا لقينا نور الدِّين، فلايسعنا أن ننسى إخلاصنا القديم له، بل إنَّنا ننكبُّ على قدميه ونلثم غبار أعتابه، حتى إنه لو أمر بضرب رقابنا خضعنا له ومددنا رقابنا بين يديه. فإذا كان هذا شأن أبيك وخالك، فما ظنُّك بالأمراء الآخرين وبقية أركان دولتك؟ إن هذه المملكة من ممالك نور الدِّين محمود المحروسة، ونحن جميعاً من عبيده ومخلصيه وهو صاحب الأمر الوحيد فإن شاء عزلنا وإقصاءنا فما لنا سوى الإذعان والانقياد، ومن مصلحة الدولة أن تقدم إلى نور الدِّين كتاباً فحواه: لقد أخترق مسامعي أنكَّم أزمعتم التَّوجُّه إلى هذه المملكة، فليس هناك مايدعو إلى القلق وتحمل عناء السَّفر، لأنَّني لم أنحرف عن سبيل العبودية الصِّائبة ولم أستنكف عن القيام بعبودية ملازمي سرير السَّلطنة، على أنَّي أدين لكل حكم يصدر من معدلتكم.

---

(١٧) يعنى به الملك المظفَّر تقيُّ عمر بن نور الدِّين شاهنشاه.

rE

«بهر چه حكم كنى بنده ايم وفرمان بر بهر چه أمر كنى چا كريم و خدمتكار»
(أي كيفما تحكمون فنحن عبيد مطيعون، وكيفما تأمرون فنحن خدم مخلصون)

وإذا كان قد ثار من جانبنا غبار عكّر صفو ضميركم المنير، فمن الجدير أن ترسلوا أحد مماليككم ليجعل في عنق عبدكم غِلاً، ويسحبه حتى بابكم العالي معتصم الخلق.

dB

چه كند بنده كه گردن ننهد فرمان را

أي (ماالّذي يسع العبد، إن لم يذعن للأوامر؟).

أعار (صلاح الدِّين) خطاب والده الحنون أُذناً صاغية ووعاه بقلب ملؤه النَّزاهة والإخلاص، وهكذا انفضّ مجلس الشُّورى، ثمَّ خلا نجم الدِّين به، وأخذ ينصحه وقال: «لمّا كنت شاباً قليل التجربة، فلا تستطيع بأدنى التفاتة التمييز بين محبِّيك وأعدائك. وما يدريك أنّ الجماعة الملتفة حولك لايريدون الإطلاع على نياتك المكنونة في أعماق ضميرك ليبلّغوا إلى نورالدِّين إيَّاها؟ فإن كنت حقاً مزمعاً الحيلولة بين نورالدِّين وبين دخوله مصر وعلم بذلك، فإنَّه يوجِّه كلّ جهده للقضاء علينا، ويحشد قوات الشام والموصل فيشنُّ بها علينا حرباً شعواء، أمّا الآن فإنَّه إذا بلغه قرار مجلس الشورى الذي عقدناه، وأدرك أننا لم نحمل ضدَّه روح التَّمرُّد والانشقاق فيرجع ويتساءل نفسه، ويعتني بمهمات أخرى، ويدع الاهتمام بشأننا فنتخلّص من خطره».

لقد قوبل رأي نجم الدِّين أيوب هذا بارتياح كبير وهتاف قلبي. ثمَّ لمَّا بلغ نورالدِّين الكتاب الّذي قدَّمه إليه صلاح الدِّين متمخِّضاً عن الآراء التِّي قررها المجلس الاستشاري كان له وقع كبير في قلبه، فأفاض عطفه وشفقته عليه، وتركه وشأنه.

وفي سنة ثمان وستين وخمس مئة (١١٧٢م)سقط نجم الدِّين أيوب عن جواده، فلم يعش بعد ذلك إلاّ بضعة أيام متوجِّعاً، لحق بالرفيق الأعلى على أثره. فعني صلاح الدِّين بمراسيم تكفينه وتشييع جنازته على وفق السُّنة النَّبويَّة ودفنه في موضع يناسب وعلوَّ مقامه. وأقام له حفلة عزاء عظيمة كان يوماً مشهوداً، هذا وقد أعقب

الرَّاحل العظيم ستَّة بنين هم: صلاح الدِّين يوسف وسيف الدِّين محمد[١٨] وشمس الدَّولة توران شاه[١٩] وسيف الإسلام طغرلتكين[٢٠] وشهنشاه[٢١] وتاج الملوك بورى[٢٢].

ثمَّ لمّا حلَّ عام تسع وستين وخمس مئة (١١٧٣م) وانتقل نورالدِّين محمد إلى جوار ربِّه استقل صلاح الدِّين بالملك والسَّلطنة، فتمكَّن في وقت قليل من الاستيلاء على بلاد الشَّام، ثُمَّ نزع بيت المقدس = القدس وقدس خليل الرّحمن[٢٣] من يد النَّصارى، وسيَّر ابن أخيه قراقوش[٢٤] إلى احتلال بلاد المغرب فسار إليها بجيش

---

(١٨) هو الملك العادل سيف الدِّين أبو بكر محمد الَّذي تأتي ترجمته.

(١٩) هو الملك المعظَّم شمس الدَّولة توران شاه، كان من القوَّاد البارزين في انتصارات أخيه السُّلطان صلاح الدِّين المتوالية في الحروب الصَّليبيَّة ولا سيِّما في القضاء على مؤتمن الخلافة جوهر الثَّائر على رأس الجند السُّوداني. وذهب إلى السُّودان سنة ٥٦٧ هـ - ١١٧١م لدرس أحوالها، كما سار إلى اليمن فاحتلَّها مع عدن سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٢م وتولّى الأمر فيها. وكذلك كان قد ناب عن أخيه السُّلطان صلاح الدِّين في الشَّام مدَّة، وتقلَّد شؤون الحكومة في بعلبك ردحاً من الزَّمن. وأخيراً أعطى أخاه اليمن وبعلبك، واستعاض منه الإسكندرية، ولبث فيها حاكماً حتى وفاته سنة ٥٦٧ هـ - ١١٨٠م.

(٢٠) هو الملك العزيز سيف الإسلام طغتگين الآتي ذكره.

(٢١) لقبه (نور الدَّولة) كان في الشَّام عند توغُّل الصَّليبيين فيها، فدافع عن المملكة دفاع الأبطال فانتصر عليهم واستشهد في سنة ٥٤٣هـ- ١١٤٨م.

(٢٢) هو مجد الدِّين تاج الدَّولة (أبو سعيد بوري) ولد سنة ٥٥٦ هـ- ١١٦١م، وصحب أخاه في محاصرته لمدينة حلب، فأبدى بسالة نادرة، واشتُهر بشجاعته وتضحيته، وكان عالماً فاضلاً وشاعراً مجيداً. وتوفِّي سنة ٥٧٩هـ - ١١٨٣م على أثر جروح أصابته في الحصار المذكور.

(٢٣) يعني بها مدينة الخليل. وهي قصبة معروفة في فلسطين بين بيت اللحم وبئر السَّبع.

(٢٤) يقول: مؤلِّف قاموس الأعلام التُّركي: إنَّ قراقوش هذا، لم يكن إبن أخي السُّلطان صلاح الدِّين، بل من مماليكه، أو مماليك عمِّه شيركوه، واسمه بهاء الدِّين عبدالله الأسدي المكنّى بأبي سعيد، استخدم في الوظائف فتدرَّج فيها، فكان السُّلطان نفسه ينيبه عنه في الحكم حين يغيب عن القاهرة ولمّا أسره الإفرنج في عكّا فاداه بعشرة آلاف ذهب ونصَّبه عاملاً على الشَّام مدَّة من الزَّمن هذا وإذا نحن استثنينا أستبداده برأيه في إصدار أحكامه الَّتي ذهبت مضرب المثل «حكم قره قوش» فإنَّه كان شهماً، عالي الهِمَّة له من الأعمال الخيرية الكثير، مثل: تسوير القاهرة وبناء قلعة الجبل وإنشاء الجسور في طريق أهرام الجيزة وإنشاء رباطات وفنادق. وكانت وفاته سنة ٥٩٧هـ- ١٢٠٠م.

جرار، فانتزع طرابلس[٢٥] من الإفرنج بفضل جهوده واهتمامه، كما أنَّه سير أخاه شمس الدَّولة إلى مملكة اليمن[٢٦] وما إن بزغت شمس إقباله من أفقها حتى تصدى له زنديق يدعى عبدالنبَّيِّ[٢٧] كان قد استولى على تلك البلاد بقوته وبأسه، فوقف في وجهه،لكنَّه لمّا حمي الوطيس أخفق وأسفرت المعركة عن القبض عليه وقتله.

ولمّا حلَّت سنة سبعين وخمس مئة ١١٧٤م خضعت مدينة دمشق وأكثر بلدان الشَّام لتصرف صلاح الدِّين كما بيَّنا ذلك آنفاً، فلم يسع الملك صالح إسماعيل بن نورالدِّين[٢٨] إلاّ القناعة بحكومة حلب. وفي عام اثنين وسبعين وخمس مئة ١١٧٦م أمر صلاح الدين باقامة سور طوله تسعة وعشرون الف ذراع وثلاث مئة ذراع يحيط من جانب الصحراء بمصر والقاهرة منها خاصَّة، فشرع البنّاؤون في تشييده، وظلُّوا يعملون فيه حتى آخر لحظة من حياته.

ولمّا حلَّ عام ثلاثة وسبعين وخمس مئة ١١٧٧م قاد صلاح الدِّين جيشاً كثير العدد والعدَّة إلى عسقلان[٢٩] فحارب النصارى وغنم أموالهم، وعرج منها على الرَّملة[٣٠] فباغته جيش من جيوش الإفرنج بصد زحفه، فاشتبكا في المعركة، واحتدمت سورة القتال، فأسفر عن اخفاق [أهل][٣١] الإسلام وهزيمتهم واستشهاد

---

(٢٥) يعني طرابلس الغرب الواقعة بين مصر شرقاً وتونس غرباً والصَّحراء جنوباً.

(٢٦) بلاد واسعة تقع بين عمان ونجران، عاصمتها صنعاء.

(٢٧) هو عبدالنَّبيِّ بن المهديِّ الَّذي كان قد تغلَّب على مملكة اليمن بشدَّته وبأسه فأرهق السُّكَّان بالجور والظُّلم وجاوز طغيانه المعقول، حيث شيَّد لوالده ضريحاً من الذَّهب الخالص، وأجبر سكَّان مملكته على التُّطواف به بدل الكعبة، فقبض عليه توران شاه وقتله أشنع قتلة، واستصفى خزانته وأمواله وجميع المجوهرات والزَّخارف والذَّهب الَّذي زيَّن به قبر أبيه، وذلك سنة ٥٦٩ هـ- ١١٨٢م.

(٢٨) تولّى الملك سنة ٥٦٩هـ - ١١٧٣م على أثر وفاة أبيه، وكان آنئذ صبياً في العاشرة من عمره ثمَّ استولى السُّلطان صلاح الدِّين الأيوبي على بلاده، ولم يبق في تصرُّفه غير حلب الَّتي حكمها بضع سنين وتوفي سنة ٥٧٧هـ- ١١٨١م.

(٢٩) إحدى مدن فلسطين الجميلة تقع على ساحل البحر المتوسّط .

(٣٠) مدينة قديمة في فلسطين، حتى إنَّ أُسم فلسطين يطلق عليها غالباً كاسم خاص.

(٣١) لفظة [أهل] وضعت بين معقفين طبقاً للأصل الفارسي، إذ إنَّها مما عثر عليه في جميع النسخ.

نجل تقي الدِّين[٣٢] من بين حفدة أشقائه وكان فتى قد بلغ من العمر عشرين سنة ومعظم جيش مصر. ولم يكن من صلاح الدِّين إلاّ أن قفل راجعاً مهزوماً مشتَّتاً إلى مصر، فأغار النَّصارى على مدينة حماه[٣٣] و حاصروها أربعة أشهر، وفي أواخر هذه السَّنة دخلت قلعة حلب في تصرف صلاح الدِّين من غير قتال وإراقة دماء ففوض إمارتها إلى ابنه الملك الظَّاهر[٣٤].

وفي سنة أربع وسبعين وخمس مئة (١١٧٨م) نهض فرخ شاه[٣٥] ابن أخي صلاح الدِّين وكان يتولى حكومة دمشق بالنيابة عنه لمحاربة جمع من الإفرنج[٣٦] المتوغِّلين في بلاد الشَّام فهزمهم، وقتل قائدهم[٣٧]. وفي هذه السَّنة نفسها أدركت يد المنون خال صلاح الدِّين الملقب شهاب الدِّين وكان يتقلد زمام حكم حماه، وقد نشر عليها لواء العدل فأقيم مقامه الملك المظفَّر تقيُّ الدِّين عمر بن شهنشاه بن نجم الدِّين أيوب فلبث بها حتى عام سبعة وسبعين وخمس مئة (١١٨١م) مضطلعاً بشؤون الدَّولة. ثمَّ أدركته الوفاة.

---

(٣٢) لعلَّه يعني به الملك المنصور محمد بن الملك المظفَّر تقيِّ الدِّين عمر بن نور الدَّولة شهنشاه . وهذه الموقعة هي الَّتي أسر فيها الفقيه الأمير عيسى الهكاري الَّذي فاداه السُّلطان صلاح الدِّين بعدئذ بمبلغ كبير من المال.

(٣٣) حماه: إحدى مدن الشَّام القديمة يخترقها نهر العاصي، وقد ناوأ أهلها الإفرنج حتى كرَّ صلاح الدِّين من مصر على الإفرنج مرَّة أخرى بعد ثلاثة أشهر.

(٣٤) يعني به الملك الظَّاهر غازي الَّذي كان يبلغ من العمر حين أقطعه أبوه هذه الولاية، أحد عشر عاماً من العمر وستأتي ترجمته .

(٣٥) هو الأمير عزُّ الدِّين فرخ شاه بن نور الدَّولة شهنشاه.

(٣٦) كان يقود هذا الجمع الملك بلدوين الرّابع حاكم الرَّملة، فانتصر عليهم عزُّالدِّين فرخ شاه أُنتصاراً باهراً، وكاد يأسر الملك نفسه، لولا أحد أبطال الإفرنج المسمّى همفري.

(٣٧) لعلَّه يعني همفري أحد أبطال الإفرنج شيفالي – Chivalery . وقد أغاث الملك بلدوين، وخلَّصه من القتل، وأصيب نفسه بجروح خطيرة أهلكته بعد أيام. هذا ولا ننسى أنَّ حادثة مرج العيون وقعت بعد هذه بمدَّة، فأسر فيها عدد كبير من النَّصارى، منهم ريامونـد حاكم طرابلس، وبلدوين حاكم الرَّملة، وهوج صاحب طبريَّة، غير أنَّ صاحب الرَّملة فدى نفسه بمبلغ ٢٥٠ ألف قطعة من الذَّهب، وتعهَّد بإطلاق ألف مسلم كانوا أسرى عنده. ثمَّ هادن الإفرنج المسلمين لمدَّة سنتين، فدخل في الهدنة جميع أمراء الإفرنج، وحكامهم إلاّ حكام طرابلس وأنطاكيّة.

ولما حلَّت سنة ستٍّ وسبعين وخمس مئة (١١٨٠م) أدركت المنيَّة شمس الدولة بن نجم الدِّين إيوب الذَّي كان قد أحتل اليمن بإعمال السَّيف والسَّنان، ويمَّم وجهه شطر الإسكندرية فنقل جثمانه إلى الشَّام ودفن في المدرسة الَّتي أسَّستها شقيقته في ظاهر دمشق، ثمَّ فوَّضت مقاليد حكم اليمن إلى سيف الإسلام ثاني إخوته.

ولمَّا كان يوم الجمعة من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة (١١٨٧م) نشبت بين صلاح الدين والإفرنج بالقرب من طبرية حرب ضروس ثم أسفرت المعركة عن أسر أمير النَّصارى وقتل خلق كثير من جيشه[٣٨]. ثم سار

---

(٣٨) هذه هي موقعة حطِّين الشَّهيرة في التأريخ، وسببها أنَّ حكام الإفرنج نقضوا نصوص المعاهدة ونهب أرناط حاكم الكرك قافلة تجاريَّة للمسلمين، وسجن رجالها ونساءها، واستخف بالدِّين الإسلامي. فلمّا سمع السُّلطان صلاح الدِّين هذا النبأ المؤلم، عبَّأ جيشاً عظيماً لغزو بلاد فلسطين، وعسكر في مقرِّ السَّلامة بالقُّرب من بصيري، حتى إذا مرَّت قوافل الحجَّاج ووصلته قوات مصر، مال بجيشه إلى تلعشترة ليعدَّ العدَّة للموقعة الكبرى. ثم عقد مجلس شوراه، فقررَّوا منازلة العدو مهما بلغت قوته، متشجعين بما رأوه من تتابع جيوش المملكة الإسلامية. ثمَّ استعرض السُّلطان جيشه يوم الخميس ١٦ ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ (مايو ١١٨٧م) وتريَّث حتى صلى الجمعة، وعبر يوم السَّبت نهر الأردن جنوب بحيرة طبريَّة، وأرسل عيونه لمعرفة موقع العدو المجتمع في صفُّوريا ثم زحف السُّلطان على تل كفر سبت ليستولي على الطَّريق . وترك نخبة من جيشه تراقب حركاتهم، وسار بنفسه مع بقيَّة الجيش إلى طبريَّة فأُحتلَّها بعد معركة قصيرة الأمد. غير أنَّ قلعتها أُمتنعت عن التَّسليم، ولجأت إليها زوجة ريامونـد وأولادها وحاشيتها وأخذت تستنجد منها بالملك جوي صاحب صفُّوريا. وبعد محاورة طويلة ونقاش بين القواد، قَّرر الإفرنج خوض غمار الحرب ضدَّ المسلمين. ومادخل الصُّبح حتى أصدروا أمرهم للجيش بالحركة بأن يتحركوا ويقطعوا خطَّ الرجعة على السُّلطان ويحولوا بينه وبين مراكز قوَّاته ، وبينه وبين منابع المياه غير أنَّهم لم يوفَّقوا لذلك بل أحرج موقفهم فانسحبوا إلى المعسكر. وفي اليوم الثاني حمل الجيش الإسلامي على جيش الإفرنج فبدَّدوا شملهم وفرَّقوهم شذر مذر وأسروا الملك جوي وأخاه رينولد – أرناط ملك الكرك. وكان ذلك في ٢٦ ربيع الآخر من سنة ٥٨٣هـ = ٤ يوليو ١١٨٧م الَّذي صار يوم شؤم على الإفرنج في الشَّام ثمَّ ضرب السُّلطان خيمته، واجتمع فيها بذوي الرَّأي من أتباعه وأخصائه فسجد الجميع لله شكراً على نصره إيَّاهم، ثمَّ أمر بإحضار الأسرى فأحضر بين يديه الملك جوي ورينولد صاحب الكرك فأجلسهما داخل خيمته، وسقاهما ماء مثلوجاً. ثمَّ أخذ يؤنِّب صاحب الكرك على سوء صنيعه مع قوافل المسلمين، وتطاوله على مقام النُّبوَّة. ثمَّ ضرب عنقه بيده الكريمة تنفيذاً لوعده وبّراً بيمينه، ولكنَّه طيَّب خاطر الملك جوي، وأرسله إلى دمشق مع بقية قومه بكل حفاوة وإكرام.

صلاح الدِّين إلى عكَّا ونزع قلعتها الحصينة من تصرُّف النُّصارى، وأنقذ زهاء أربعة آلاف نسمة من المسلمين، كانوا قد أسرهم الكفَّار. ونهج هذا النَّهج في فتح البلاد والقلاع الَّتي كانت في تصرُّف النصارى الإفرنج باذلاً في ذلك الجهد ففتح نابلس وحيفا[٣٩] وفيسارية[٤٠] والناصرة[٤١] وعسقلان. ثمَّ قاد جيشاً عرمرماً إلى بيت المقدس، ونزل بالجانب الغَّربي منه[٤٢]. ثَّم حسَّن خطَّته وانتقل إلى الجانب الشَّرقي[٤٣] فحاصره، وشنَّ عليه حرباً شعواء، وكان يسكن فيه يومئذ ما ينيف على ألفٍ من النَّصارى حملوا لواء الحرب، يقاتلون المسلمين بعنف وشدَّة. فلمّا حلَّ يوم الجمعة السَّابع والعشرون من شهر رجب من السَّنة المذكورة ٥٨٣هـ (٢ أكتوبر ١١٨٧م) ضيَّق صلاح الدِّين الخناق على النَّصارى، وأحرج موقفهم، ورماهم بالمجانيق حتى ظهرت بوادر النَّصر، وآثار الظَّفر والنجاح، فامتلأت قلوب أهل الكفر والضَّلال ذعراً وخوفاً، وضجُّوا فزعاً وعلت أصواتهم: (الأمان الأمان!) حتى ملأت الأكوان. فأحسن صلاح الدِّين معاملتهم، وآمنهم من القتل والأسر. وهكذا فتح بيت المقدس، وتسنّى للمسلمين أن ينزلوا الصَّليب الَّذي علَّقه النَّصارى في قبَّة الصَّخرة من المسجد الأقصى، وأن يهشِّموه ويحطِّموه. وأقيمت فيه، في اليوم نفسه صلاة الجمعة[٤٤] فارتفعت أصوات المكبِّرين المهللِّين حتى ملأت الأجواء والآفاق.

---

(٣٩) مدينة شهيرة في فلسطين فيها ميناء عظيم يطلُّ على الشَّاطيء الشَّرقي من البحر المتوسِّط.

(٤٠) مدينة شهيرة على ساحل البحر المتوسِّط.

(٤١) مدينة شهيرة على ساحل البحر المتوسِّط.

(٤٢) كان ذلك في الخامس عشر من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ(سبتمبر سنة ١١٨٧م).

(٤٣) يقال إنَّه كان قد اتخذ جبل الزَّيتون معسكراً له وأساً للحركة.

(٤٤) أحضر السُّلطان صلاح الدِّين الفقيه محي الدِّين قاضي حلب الَّذي كان قد تنبَّأ بفتح القدس في هذا الشَّهر في قصيدة كتبها للسُّلطان بقوله:

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر
مبشر بفتوح القدس في رجب

ليكون خطيب القدس في يومها الأكبر في المسجد الأقصى. فلما جاء ورقى المنبر افتتح خطبته بهذا البيت:

الحمد لله ذلَّت دولة الصُّلب
وعزَّ بالكُرْدِ دينَ المصطفى العُربي

وكان قد لبث في أيدي المشركين الضَّالين منذ سنة اثنتين وسبعين[٤٥]؟ وأربع مئة (١٠٧٩م) إلى ذلك الحين. وفي ذلك اليوم نفسه تمَّت شروط الصُّلح بين صلاح الدِّين والإفرنج على أن يؤدي كلُّ رجل منهم جزية قدرها عشرون ديناراً، وكلُّ امرأة خمسة دنانير «صورية»، وأن يؤدوا عن كلِّ طفل من أطفالهم ديناراً واحداً[٤٦]، ومن عجز عن ذلك يبقى أسيراً لدى المسلمين، فلمّا تسلَّم صلاح الدين هذه المبالغ الطائلة من المال، وزعها في الجند والعلماء والزُّهاد. ثم قصد صور[٤٧]، ولكن لمّا كان سورها في غاية المنعة والاستحكام، ولم يكن ليتيسَّر فتحها بسهولة إذ كان برد الشتاء القارس قد اشتدَّ والأمطار تنهمر بغزارة، ورأى أمراء جيشه ألاَّ فائدة من الحصار والتَّضييق وأنَّ الإنسحاب أكثر فائدة، وعرضوا رأيهم هذا على السُّلطان فاستصوب الرأي، وانسحب فعرج على طرسوس[٤٨] فاحتلها عنوة، وغنم جميع ما فيها من أموال الإفرنج وأسر من فيها من النَّصارى. ثُّم أضرم فيها النار وتركها متلظية ملتهبة، وتوجَّه نحو سائر البلدان الخاضعة لأولئك الكفَّار. ولم يزل يفتح البلد إثر البلد حتى بلغ برزيه[٤٩]؛ وهي وإن كان يضرب المثل بمنعة سورها؛ إذ بلغ ارتفاعه مع ارتفاع جدرانها خمس مئة وسبعين ذراعاً(؟) فصاعداً، إلاّ أنَّ العزيمة أخضعتها

(٤٥) هذا الرَّمز الاستفهامي موضوع طبق الأصل الفارسي وهو من الرُّموز الَّتي وضعها العلاَّمة (ف. فلياماينوف زرنوف) صاحب المقدِّمة. ولعلَّه أشار به إلى الخطأ في ضبط التأريخ المذكور، لأن الإفرنج إنَّما دخلوا بيت المقدس عام اثنين وثمانين وأربع مئة (١٠٨٩م) وظلُّوا فيه حتى أجلاهم صلاح الدِّين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ- ١١٨٧م.

(٤٦) ورد في (تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة ٢-٢١٠) «إنَّه أمنَّهم على أن يتخلوا عن البلدة والقلعة خلال أربعين يوماً وأن يؤدُّوا فدية قدرها عشرة دنانير عن كلِّ رجل وخمسة دنانير عن كل أمرأة و دينارين عن كلِّ طفل».

(٤٧) كانت مدينة عظيمة، وميناءاً مهماً على ساحل البحر المتوسِّط، اهتبل ماركيز كونارد فرصة انشغال السُّلطان في القدس فقام بتحكيمها، بحيث إنَّها لمّا أغار عليها السُّلطان، لم يتمكَّن منها، فانسحب إلى عكّا في شوال سنة ٥٨٣ هـ= ١١٨٨م وتركها لفرصة أخرى.

(٤٨) طرسوس - وضبطها صاحب (حياة صلاح الدِّين) بلفظة (أنطرطوس) - كانت مدينة قديمة محصَّنة حوالي (حصن الأكراد) اليوم.

(٤٩) برزيه: إحدى مدن الشّام، وقد أسر صاحبها مع امرأته وأولاده، وفيهم إبنته الَّتي فرق المعسكر بينها وبين زوجها العريس الَّذي بنى بها جديداً في أثناء المحاربة، فأمر السُّلطان صلاح الدِّين بالبحث عنه وردِّه إليها.!!

لسلطان مصر. ثمَّ يمَّم منها وجهه شطر أنطاكيّة[٥٠] فرغب أهلها في السِّلم وعقد الصُّلح، فأبرموا إتفاقيَّة الصُّلح، وأفرج المسيحيون عن جميع الأسرى المسلمين الَّذين كانوا في بلدتهم. وبعد ذلك لبيّ السُّلطان صلاح الدِّين دعوة ولده الملك الظَّاهر، فقصد حلب ولبث فيها ثلاثة أيام، قام الملك الظاهر خلالها بواجب القرى والضيافة، وأدّى ما يجب لوالده من الإجلال والتبجيل. ثم غادرها متوجهاً إلى حماة واستقبله حاكمها تقيُّ الدِّين استقبالا رائعاً، وقام بما يليق بجلال قدره من الخدمة والتَّرحيب، فلم يكن من السُّلطان إلاّ أن أنعم عليه بمنحه(نواخته جبله)[٥١]، وأضاف إلى مملكته بضع بليدات أخرى. وبعد ذلك اتَّجه إلى دمشق، ومكث فيها أياماً مستجماً. ثم بارحها وأغار على بلدة صفد[٥٢] فاحتلها صلحا، كما استولى على الكرك والكوكب[٥٣] ثم عطف عنان فرسه، وسار إلى القدس فصلى في تللك الأرض الطاهرة صلاة عيد الأضحى، ثم غادرها إلى عشقلان = عسقلان، واستردَّ تلك المنطقة من أخيه الملك العادل، وعوَّضه عنها ببلدة الكرك. ثم أطلق عنان جواده نحو عكّا، فأمر بتعمير سورها، وغادرها إلى شقيف[٥٤] فحاصرها، وكانت قلعتها في غاية الحصانة والمنعة، يتولّى أمرها أحد حكام الإفرنج المحنكين، معروف بحصافة الرأي... فلمّا رأى آثار النَّصر والظفَّر بادية على ملامح الجيش الإسلامي، خرج من قلعته وحيداً وقصد مقام السُّلطان الجليل، فقابله، السُّلطان بحفاوة بالغة وأجلسه إلى جانبه. ولمّا كان الضَّيف العزيز يجيد اللغة العربية، عرض بنفسه على السُّلطان قائلاً: «لقد قدمت إليكم لأعرض عليكم أنَّ لي رغبة ملحة في أن أقصد دمشق، إن سمحتم لي بذلك، لأتخذها مقاماً، على أن تتفضَّلوا عليَّ بمنحي من الديوان الهمايوني مرتباً، من ذخائر ونقود، لأنفقها على أهل بيتي وأرفَّه بها على نفسي. فإن أجبتموني إلى ملتمسي هذا فإنَّني مستعدٌ لأنزل لكم عن القلعة...!» فوعده

---

(٥٠) أنطاكيَّة: مدينة عظيمة في شمالي سورية بشاطيء (نهر العاصي).

(٥١) وفي نسختين: بدل (نواخته حلب)، ولعلَّه (نواحي حلب) [م.علي عوني].

(٥٢) كانت بلدة مشيَّدة فوق جبل شاهق، وقلعتها تشرف على بحيرة طبريَّة في سواحل الشام.

(٥٣) كانت قلعة محصنة فوق الجبل المطلِّ على قصبة طبريَّة، ومشرفة على وادي الأردن.

(٥٤) شقيف: هي إحدى قلاع سورية السَّاحلية على بعد ٣٠ كيلو متراً من صور إلى شمالها الشَّرقي.

السُّلطان بإجابة ملتمسه، فعاد أدراجه إلى القلعة، وفَّك جيش الإسلام الحصار عنها مقتنعين باتفاقية الصُّلح. غير أنَّه لمّا مضت أيام واتَّضح أنَّ مواعيده العرقوبية لم تكن إلا مداهنة قصد من ورائها تليين أعصاب سلطان مصر وتخدير أمرائه ليفكُّوا الحصار ويخفِّفوا الخناق ليتمكن من تحصين أبراجها وإدخال الذخائر الكافية إلى القلعة، وأدرك ذلك السَّلطان فثارت حماسته واستشاط غيظاً وغضباً، فأمر الجيش بتطويق القلعة للمرَّة الثانية وضرب الخناق عليها فعني أبطال الجنود بتنفيذ مهمتهم، واستحصلوا الآلات والمعدات اللازمة لخرق القلعة واحتلالها. إلا أنَّه ورد في هذه الأثناء نبأ مفزع فحواه «أن جيشاً عرمرما كثير العدد والعدةَّ من جيوش الإفرنج، قد أغار على عكاّ وحاصر قلعتها[٥٥]. فحمل ذلك الملك العادل على الرضى بمصالحة نصارى الشَّقيف، وأن يترك لهم مدينتهم مع الآلات والمعدات كافة، وأن يمنحهم مئتي ألف دينار ذهباً، ويفكَّ خمس مئة نفر من أسرى النصارى البارزين، وخمس مئة نفر من الجنود، على أن يطلقوا أسرى المسلمين[٥٦]. فلمّا سمع

(٥٥) هذه هي الحملة الصَّليبية الَّتي كان يقودها ملوك الإفرنج المشهورون أمثال ريكاردوس - قلب الأسد ملك الإنجليز وفليب أغسطس ملك فرنسا وفريدريك بارباروس ملك الألمان ومعهم جميع ملوك أوربة. غير أنَّ القدر شاء أن يغرق الأخير في نهر سالف يوم ٤ جمادى الآخرة من سنة ٥٨٦ هـ - ١٠يونيو سنة ١١٩٠م، فأُنفرط عقد جيشه وتلاشت قواته. أمّا الأولان فبعدما خاضا غمار الحرب وأحدثا المذابح والمجازر وقاما بأعمالهما الوحشيَّة البربريَّة توتَّرت العلاقات بينهما. فاغتاظ ملك فرنسا فغادر فلسطين يوم ٧ رجب من سنة ٥٨٧ هـ = ٢١ يوليو لعام ١١٩١م تاركاً قسماً كبيراً من جيشه بقيادة كونارد، ولبث ملك الإنجليز بعد ذلك قرابة شهر في عكّا يستجم. ثمَّ اتجه نحو يافا فتعرَّض في طريقه للجيش الإسلامي ومني بخسائر فادحة. ثمَّ عني بتحصين قلعة يافا وأنشأ معاقل وحصوناً عدَّة. ولكنَّ الجيش الإسلامي أحرج موقفه، وكاد يأسره لولا أن ضحَّى غليوم بنفسه في سبيله قائلاً «إنَّني أنا الملك نفسه!» وأخيراً لمّا أدرك أنَّ عزيمة السُّلطان صلاح الدِّين لا تهون عرض عليه الصُّلح، وقرَّر أن يزوج أخته من الملك العادل، وأن يترك البلاد السَّاحلية هديَّة لأخته، وأن تكون القدس ملكاً للزَّوج والزَّوجة بصفتهما (محايدين) فيفتحا أبوابها أمام المسلمين والنَّصارى سواء.

(٥٦) أما الوارد في تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة (٢/٢٢١): «فهو أنَّ الاتفاق، كان يقضي بإطلاق سراح ألف وست مئة أسير صليبيين، ودفع مئتي ألف دينار، مقابل سماحهم بخروج المسلمين. غير أنَّ الصَّليبيين المتشبِّعين بروح التَّعصب لم يأبهوا للمعاهدة، بل أحدثوا مذبحة عامَّة في المسلمين. حتى إنَّ ريشارد- ريكاردوس ملك الإنجليز قتل يوم ٢٣ رجب عام ٥٨٧

السلطان بهذا النبأ، تألم وأنكر عليه ذلك غاية الإنكار، إلاّ أنَّه وافق على رفع الحصار عنها استصواباً لآراء أمرائه الفطنين، وأمر بتخريب عسقلان وتدميرها، إذ كان يخاف أن يحتلَّها الإفرنج إذا انجلى عنها جيشه، فيتمكَّنوا بفضل أموال سكانها الطائلة وذخائرهم الوافرة من مواصلة الحرب والاستيلاء على بيت المقدس. فاجتهد الملك الأفضل - وهو أحد أبنائه الأمجاد وكان يومئذ حاكم دمشق - في تخريبها، وأمر سكانها بتخليتها والهجرة إلى سائر أنحاء الشّام. فأحزنهم ذلك وجعلهم يبيعون أموالهم وأثقالهم الَّتي لم تكن قابلة للنقل بأرخص ممّا يتصوَّر. فقد كانوا مثلاً يبيعون كلَّ متاع ثمنه عشرة دراهم بدرهم واحد، من دون أن يكون هناك من يرغب في شرائه. ولقد ورد في كتاب مرآة الجنان (٣/ ٤٦٠): «أنهَّم - يعني سكَّان عسقلان - باعوا اثنتي عشرة دجاجة بدرهم واحد...!» وقس رخص سائر الأمتعة على هذا المنوال. وخلاصة القول، أنه شرع جمع غفير من النّاس في تخريب البلدة المذكورة وهدمها، إبتداءاً من العشرين من شعبان حتى غُرة رمضان. وأخيراً أضرموا النَّار في منازلها، ودمَّروا مدينة اللدِّ[٥٧] وقلعة الرملة.

في هذه الآونة ورد من الملك العادل نبأ مفاده «أنَّ الإفرنج يرغبون في الصلح، ويتعهدون ألاَّ يتطاولوا على البلاد الإسلامية مرَّة أخرى، إذا تركنا لهم البلاد الساحلية...»، فأذن له السُّلطان صلاح الدِّين أن يتفاهم معهم ويعقد الصُّلح. فأبرمت الهدنة بين المسلمين والإفرنج، وأكِّدت بالمواثيق والأيمان المغلَّظة[٥٨]. ثمِّ أخذ تجَّار الطَّرفين يتوافدون على بلاد الفريقين ويتبادلون البضائع والأمتعة.

ثمّ يمَّم السُّلطان صلاح الدِّين وجهه شطر بيت المقدس، وأذن للملك الظاَّهر والملك الأفضل أن يعودا إلى مملكتيهما، وأقام هو هناك أياماً، ثمَّ قصد دمشق حاضرة بلاد الشام فبلغها في اليوم السَّابع من شوال سنة ثمان وثمانين وخمس مئة (١١٩٠م)، فالتفَّ حوله أولاده كافة مع بقية أمراء الشام وقضوا فيها بضعة أشهر بالفرح والسُّرور.

هـ(١٢يوليو عام ١١٩١م) ٢٧٠٠ مسلماً. وعلى كل، فإن عكّا كلفَّت المسلمين ستين ألف نفس... الخ».

(٥٧) بليدة في فلسطين.

(٥٨) كان توقيع الفريقين على شروط الصُّلح يوم ٢٢ شعبان ٥٨٨ هـ (٢ سبتمبر سنة ١١٩٢م).

ولمّا حلَّ يوم الجمعة الخامس عشر من صفر من سنة تسع وثمانين وخمس مئة (٢١ فبروري من سنة ١١٩٣م) رغب السُّلطان في أن يستقبل قوافل حجَّاج بيت اللّه الحرام، فامتطى صهوة جواده، واستقبلهم.

فما كاد يرجع من عندهم حتى انحرفت صحته، واعترته الحمّى المحرقة. ولم يحل اليوم السّابع والعشرون من الشهر المذكور (٤ مارس سنة ١١٩٣م) حتىّ التحق برحمة ربِّه وغفران مولاه. فلم يكن من فرق الأنام، خواصِّهم والعوام، إلاّ أن ضجوُّا بالعويل والبكاء، وبخاصَّة حين وقع نظرهم على جنازته الَّتي شيَّعت إلى مثواها الأخير وكان يوم تشييعه يوماً مشهوداً.

كان السُّلطان صلاح الدِّين ملكاً متصفاً بالعدل والنَّصَفة، منعوتاً بالبسالة وفرط الشَّجاعة، محبّاً للعلماء، والفضلاء معتنياً بترفيههم في معيشتهم و تطييب أفئدتهم، وقد انصرف إلى التَّقوى، واجتنب جميع المسكرَّات، منذتقلَّد زمام السَّلطنة في مصر.

ولقد شيِّدت أيام حكمه كثير من المعاهد الخيِّرية في بلاد مصر والشّام، ووقف عليها المزارع الجميلة والمستغلات الدارّة للخيرات. وهذه أسماء بعض تلك المؤسَّسات:

١و٢ - مدرستا القرافة الكبرى والصُّغرى[٥٩]، وهما بالقرب من مدفن الإمام الشَّافعي رضي اللّه عنه.

٣- مدرسة القاهرة المعزِّيةَّ، على مقربة من المزار المنسوب إلى الإمام الحسين رضي اللّه عنه.

٤- رباط شيِّد في محل بلاط سعيد السعداء[٦٠] أحد الخلفاء الإسماعيليّن[٦١].

---

(٥٩) يعني بهما المدرسة النَّاصرية الَّتي بناها ٥٦٦هـ - ١١٧٠م. والمدرسة الكامليَّة المعروفة باسم المدرسة القمحيَّة جعلها خاصَّة بالطُّلاب المالكية.

(٦٠) سعيد السُّعداء: لقب لأحد خدم المستنصر الفاطمي كان اسمه قنبر. هذا وقد وقف على هذا الرِّباط (قيسارية الشرب) بداخل القاهرة وبستان الحبَّانية بزقاق البركة.

(٦١) الخلفاء الإسماعيليُّون: هم الخلفاء الفاطميُّون الَّذين تولَّوا الحكم في المغرب ومصر من (سنة ٢٩٧ هـ ولغاية سنة ٥٦٧ هـ) نسبة إلى إحدى فرق الشِّيعة الَّذين يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق [محمد علي عوني].

٥- مدرسة الحنفية الَّتي رمَّمها، وتقع في موضع بلاط عباس بن سالار[٦٢].
٦- مدرسة الشَّافعيَّة، وتعرف في مصر باسم زين التجار.
٧- مدرسة المالكيَّة في القاهرة المعزِّية.
٨- مستشفى في داخل قصره.
٩-١٠- مدرسة ورباط أسَّسهما في قدس الخليل = مدينة الخليل. وهذه قد أكمل بناؤها جميعاً[٦٣].

وقد قيل في البحث عن جوده وكرمه: إنَّه بالرَّغم من سعة ملكه وفسحة بلاده ووفرة الموارد والمجابي وكثرة الغنائم، وجد إنَّ خزانته لم تكن لتحتوي يوم وفاته إلاّ على سبعة وأربعين درهماً فضة [والعلم عند اللّه الودود].

٥- أبو الفتح عثمان بن صلاح الدِّين يوسف

كان السُّلطان صلاح الدِّين قد أناط حكومة مصر أيام حياته بأكبر أنجاله عثمان[٦٤] ولقَّبه الملك العزيز. ثمَّ لمّا توفي السُّلطان، ونعي إلى صاحب التَّرجمة، بادر بالاستيلاء على عرش السَّلطنة، فجاء أعيان المدينة ووجهاؤها يبايعونه مجدَّداً. فلما فرغ باله واستتب له أمر الملك في جميع أنحاء المملكة، أخذ يأتمر بأخيه الملك الأفضل[٦٥]، فقاد بالاتفاق مع عمه الملك العادل[٦٦] ثلاث مَّرات الجيوش لغزو

---

(٦٢) بناها سنة ٥٧٢هـ- ١١٧٦م وجعلها في (دار الوزير البطانحي) وتعرف باسم المدرسة السُّيوفية.

(٦٣) وقال جملة من المؤرِّخين «إنَّه بنى في القاهرة، عدا ما ذكر مستشفيين، كما جعل قصر الخليفة مستشفى وشيَّد بداخله داراً للغرباء هذا ولم يأل جهداً في إقامة الجسور والقناطر وتعبيد الطُّرق وبناء الأسوار حول المدن وإصلاح الزراعة ورفع الضَّرائب والمكوس الَّتي كان الشَّعب يرزح تحت أعبائها على عهد الحكومات الفاطمية. أما علمه الخاص فكان قطعة قماش أصفر نقش عليه نسر أحمر».

(٦٤) يرى بعض المؤرِّخين أنَّ الملك الأفضل أبا الحسن علي نور الدِّين هو أكبر أنجال السُّلطان.

(٦٥) الملك الأفضل هو علي بن صلاح الدِّين يوسف أكبر أولاده على ماهو المشهور [محمد علي عوني].

(٦٦) يحدِّثنا مؤلِّف تأريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة في (٢/٢٢٦) من كتابه: «إنَّ الملك العادل وبعض الأمراء الأيّوبيِّين أنكروا على الملك العزيز اختراقه لحدود بلاد أخيه الملك الأفضل و

دمشق، وتمكَّن في الحملة الأخيرة من احتلالها في شهر رجب لعام اثنين وخمس مئة(١١٩٥م) بعد محاصرة طويلة ومحاربة عنيفة، فما وسع الملك الأفضل إلاّ الهرب. وبعد ذلك أناط الملك العزيز سلطنة دمشق بعمِّه الملك العادل[٦٧] وعاد أدراجه إلى مصر. وفي عام ثلاثة وتسعين وخمس مئة (١١٩٦م) توفِّي سيف الإسلام طغر لتكين بن نجم الدِّين أيوب[٦٨] حاكم بلاد اليمن، فقام نجله فتح الدِّين إسماعيل[٦٩] الملقَّب بالملك المعزِّ مقامه ملكاً على اليمن.

ولمّا حلَّ عام خمسة وتسعين وخمس مئة (١١٩٨م) توفِّي الملك العزيز في مصر وكان شاباً يضرب به المثل في الحلم والحياء والعفة والسَّخاء. وبعد وفاته تحزَّب سكان مصر حزبين: أجمع فريق على إسناد السَّلطنة إلى الأمير يسر عزيز[٧٠] الموسوم بعلي والملقَّب بمنصور. وقام الفريق الآخر يوفدون إلى الملك الأفضل من يعرض طاعتهم عليه.

توسَّطوا بينهما حتى ردوه القهقري في حملته الأولى. غير أنَّه كرَّ في السَّنة الثانية على بلاده وطفق يتوغَّل فيها، فأخذ الملك العادل يحثُّ الملك الأفضل على مقاومته، كما أنَّه أغرى جنده على أن يثوروا عليه ويحولوا دون إتمام بغيته والاستيلاء على مملكة أخيه حتى تمكَّن من ردِّ عاديته ومن إيقاع الصُّلح بينهما للمرَّة الثانية.

(٦٧) جاء في المصدر المذكور أنَّ الملك العادل لَمَّا أدرك أنَّ النِّزاع المستمر بين الأخوين لا يكاد يخمد إلاّ بعد أُنحلال الجيوش الإسلامية وإضعاف الشَّوكة الَّتي تركها السُّلطان الأعظم صلاح الدِّين وأنَّ الأفرنج ما زالوا يترقَّبون بفارغ الصَّبر وقوع مثل هذه الأحداث، أخذ يفكِّر في توسيع نفوذه والسَّيطرة على الفريقين المتنازعين، فتجنّى على الملك الأفضل وجرَّد إليه بالاتِّفاق مع الملك العزيز جيشاً جرّاراً اضطرَّه إلى الفرار والاقتناع بقلعة صرخد بدلاً عن دمشق وتقلَّد بنفسه زمام تصرُّف بلاد سورية نيابة عن الملك العزيز.

(٦٨) طغر لتكين: هو الملك العزيز سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن نجم الدِّين أيوب بن شاذي الكردي - أخو السُّلطان صلاح الدِّين يوسف القائد الإسلامي الشَّهير توفِّي بمدينة المنصورة الَّتي بناها في اليمن أيام حكمه بها [محمد علي عوني] [كان توليه حكم اليمن سنة ٥٧٩هـ - ١١٨٢م ولبث فيها حاكماً حتى وفاته عام ٥٩٢هـ- ١١٩٦م].

(٦٩) فتح الدِّين إسماعيل الشَّهير بالملك العز: هو ابن سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدِّين أيوب.

(٧٠) يسر عزيز: هو الملك المنصور علي بن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدِّين يوسف. (ومعناه النجل العزيز) فكلمة (يسر) بمعنى النَّجل يستعملها[الأدباء الأكراد تقليداً للأدباء الفرس كلفظة تكريميَّة].

٦- الملك الأفضل بن صلاح الدِّين يوسف

كان الملك الأفضل هذا - كما يظهر ممَّا قدَّمناه آنفاً - يتولّى على عهد والده السُّلطان صلاح الدِّين حكم (دمشق). فلما انتقل والده إلى جوار ربه، حالف أخوه الملك العزيز عمَّه الملك العادل، وحمل عليه ثلاث مرَّات وهو في دمشق بجيوش قاهرة حتى نزع مملكته منه، معِّوضاً إيّاه عنها بقلعة صرخد[٧١] حيث قضى فيها وقته حتى وفاة الملك عزيز، إذ سار بعد ذلك إلى مصر في غاية البدار، وتقلَّد زمام السَّلطنة فيها أياماً، غير أنَّ عمَّه الملك العادل حمل عليه بجيش جرَّار، فنزعها منه[٧٢] ومنحه عوضاً عنها بلدة شميشاط[٧٣]. وهكذا تقرَّر ملك مصر للملك العادل. أما الملك الأفضل فقد تسلَّم زمام الحكم في شميشاط[٧٤] الَّتي قرَّرها له عمُّه فقضى فيها حياته حتى اللحظة الأخيرة من عمره حيث وافاه الأجل سنة اثنتين وعشرين وست مئة (١٢٢٥م) فلحق برحمة ربِّه.

ولقد قال اليافعي[٧٥] في تأريخه (٥٣/٤): «وفيها - أي في سنة ٦٢٢هـ -

(٧١) صرخد: قلعة قديمة بالشَّام بين حوران وجبل الدُّروز وهي الآن قرية صغيرة بها آثار وطلول [محمد علي عوني].

(٧٢) يحدِّثنا السَّيد محمد أمين زكي بك عن السَّبب في هذه الإغارة فيقول: «لمّا اعتلى الملك الأفضل كرسيَّ السَّلطنة في مصر مكان أخيه وبالنيِّابة عن ابنه الصَّبي الملك المنصور محمود أخذ يفكِّر في الثَّأر لنفسه والانتقام من عمِّه الملك العادل، فأرسل، تنفيذاً لخطَّته هذه أخاه الملك الظَّاهر حاكم حلب ليحصل منه الوعد بمِّد يد المعونة إليه وراح يتأهَّب لتسيير الجيش إلى غزو عمِّه المذكور. بيد أنَّ الملك العادل كان ساهر العينين، فاستخبر عما أزمع عليه الملك الأفضل فلم يلبث أن خلق بينه وبين امرأته شقاقاً وسار إليه بجيش عرمرم أحرج به موقفه واضطرَّه إلى التَّسليم والخضوع له عام (٥٩٦هـ- ١١٩٩م) وأقصاه مع الملك المنصور عن مصر وأضافها إلى مملكته وأُستقلَّ بها.

(٧٣) شميشاط: قلعة قديمة على نهر الفرات بكردستان بشمالي الرَّها وجنوب حصن المنصور. ذكرها الأطلس العثماني التُّركي باسم صامساد[م.عوني].

(٧٤) يقول السَّيد محمد أمين زكي بك: «إنَّه بعدما أقصي عن مصر رجع إلى محلِّه الأول «صرخد» ولبث فيها ردحاً من الزَّمن، ثمَّ أراد أخوه الملك الظاهر أن يستعيد له بلاد الشَّام وزحف عليها بجيش حلب . غير أنَّ الملك العادل أدَّى إلى إخفاقه وإلى أن يحدث الشِّقاق بين الأخوين. ففكَّ الملك الظَّاهر الحصار عنها، وعاد إلى حلب ورجع الملك الأفضل أدراجه إلى قلعة صرخد خائباً خاسراً. وأخيراً أشفق عليه الملك العادل فمنحه قلاع النَّجم وسروج وصمصاد.

(٧٥) اليافعي: هو عبدالله بن أسد الشَّهير بقطب مكَّة ونزيل الحرمين بطول إقامته بهما. توفي سنة

توفِّي الملك الأفضل نورالدين علي بن السُّلطان صلاح الدِّين يوسف بن أيوب. وكان محباً للعلم ويستمع إلى الأحاديث من العلماء المعاصرين له. وكانت له اليد الطُّولى في النَّظم والنثَّر والإنشاء والرَّسائل وتملَّك أخوه الملك العزيز الدِّيار المصريَّة، وبقي الملك الظاهر أخوهما في حلب ثم جرت للملك الأفضل مع أخيه العزيز وقائع يطول شرحها. وآخر الأمر أنَّ العزيز والعادل عمَّه، حاصرا دمشق وأخذاها من الأفضل وأعطياه صرخد. وبعد قليل مات العزيز وتولى ولده المنصور. ثمَّ إنَّ الملك العادل أخذ الدِّيار المصرية، ودفع للملك الأفضل عدَّة بلاد الشرق، ولم يحصل له منها إلاّ سميساط، فأقام بها إلى أن مات. وكان الافضل ذا فضيلة ونباهة. وكان يحبُّ العلماء ويكرم مثواهم. ومن الشعر المنسوب إليه ماكتبه إلى الخليفة النّاصر يشكو عمَّه العادل الملقب بأبي بكر، وأخاه العزيز الملقَّب بعثمان لمّا أخذا منه دمشق هذه الأبيات:

مولاي! إنِّ أبابكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسَّيف حق علي
وهو الَّذي كان قد ولاّه والده عليهما، فاستقام الأمر حين ولي
فخالفاه وحلاَّ عقد بيعته والأمر بينهما والنَّصُّ فيه جلي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول

فأجابه الخليفة النَّاصر[٧٦] بجواب هذا مطلعه:

وافي كتابك، يا ابن يوسف معلناً بالودِّ يخبر أنَّ أصلك طاهر
غصبوا علياً حقه إذ لم يكن بعد النبيِّ له بيثرب ناصر
فابشر فإنَّ غداً عليه حسابهم واصبر فناصرك الإمام النَّاصر[٧٧]

٧٥٥هـ وله مؤلَّفات قيِّمة، أشهرها تأريخه المذكور المسمّى (مرآة الجنان في حوادث الزَّمان) المطبوع بحيدر آباد الدكن.

(٧٦) الخليفة النَّاصر: هو النَّاصر لدين اللّه أحمد بن المستضيء الرَّابع والثّلاثون من الخلفاء العباسيِّين ببغداد تولّى الخلافة بها من سنة ٥٧٥ هـ لغاية ٦٢١ هـ. حيث تولّى بعده ابنه الظَّاهر بأمر الله محمد بن الناصر [محمد علي عوني].

(٧٧) هذه الأبيات وإن أوردها بعض المؤرِّخين عدا اليافعي ولكن يظهر لمن ألمَّ بحياة الأسرة الأيوبيَّة إنَّهم كانوا أرفع من أن يجوِّزوا لأنفسهم مثل هذه الكلمات الطَّاعنة في أصحاب رسول اللّه ولاسيِّما الخلفاء الرَّاشدين الثلاثة. وليس بمستبعد أن يكون أحد الغلاة قد انتحلها باسمه، ونسبها إليه كذباً وزوراً مستغلاً هذه المناسبة، واتِّفاق الأسماء [كذلك من غير المعقول أن يوجَّه مثل هذه

هذا، وممَّن توزَّر له نصراللّه بن أبي الكرم ضياءالدِّين محمد بن عبدالكريم الشَّيباني الجزريِّ الذَّي كان، كأخويه: عزِّالدِّين علي[٧٨] ومجد الدِّين أبي السعادات[٧٩] مشتهراً بكنيسة ابن الأثير الجزري، وكان في الفضل والعرفان والإلمام بشتّى صنوف العلم، في طليعة علماء عصره، وأضحى في فنِّ إنشاء الرَّسائل، والمؤلَّفات بالغاً من المهارة والحذق درجة ليس فوقها حد. وكان مولده في جزيرة ابن عمر[٨٠] وبها نشأ وترعرع. وقد تمكَّن في أيام صباه من حفظ القرآن الكريم. وقد قيل عن قوَّة حافظته: إنَّه كان قد جمع في صدره دواوين أبى تمّام والبحتريّ والمتنبي بكاملها.

يحدِّثنا اليافعي في تأريخه (٤/٩٨ - ١٠٠) عنه بقوله: «قال ابن خلكان[٨١]:

الشّكوى إلى خليفة من أبناء السُّنَّة العباسيِّين].

(٧٨) عزُّ الدِّين علي: هو أبو الحسن عزُّ الدِّين علي بن أبي الكرم أخو أبى السَّعادات مجد الدِّين مبارك إبن أبي الكرم الجزري الشَّهير بابن الأثير صاحب كتاب (النِّهاية في غريب الأحاديث). له مؤلَّفات قيِّمة في التَّراجم والتأريخ منها (الكامل في التأريخ) و(أسد الغابة في الصَّحابة). ولد في جزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ - ١١٦٠م [محمد علي عوني].

(٧٩) أبو السَّعادات مجد الدِّين مبارك أبي الكرم الجزري الشَّهير بأبن الأثير، ولد في جزيرة ابن عمر في أحد ربيعي سنة ٥٤٤هـ- ١١٤٩م. وشبَّ بها. ثمَّ انتقل إلى الموصل، ودرس بها النحو على (محمد سعيد بن المبارك بن الدهان) وسمع الحديث مناضلة، واتصل بالأمير مجاهد الدِّين قايماز، ولازم بعده ابنه نور الدِّين أرسلان شاه. ثمَّ أصيب بداء عضال ألزمه الفراش، وكفَّ يديه ورجليه عن الحركة، ولكن لم يزل بيته مقصد الأمراء والنُّبلاء لاستشارته والأخذ برأيه. وأخيراً بنى على بعد من المدينة رباطاً دفن فيه أخيراً في ذي الحجَّة لسنة ٦٠٦هـ- ١٢٠٩م. ومن مؤلَّفاته القيِّمة: «جامع الأصول، النِّهاية في غريب الأحاديث، الإنصاف في تفسير القرآن، كتاب بديع في صنعة الكتابة، ديوان الرَّسائل، كتاب الشَّافي، كتاب المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار وغير ذلك.

(٨٠) كان باني هذه الجزيرة عمر بن عبدالعزيز، ولذا اشتهرت بالجزيرة العمرية [محمد علي عوني]: [وإني أقول: الذي نعرفه هو أنَّها تدعى جزيرة ابن عمر إضافة إلى مؤسِّسها عبدالعزيز عمر الكردي من سكان برقعيد من أعمال الموصل. وقد أيَّد هذا الرَّأي المؤرِّخ الكبير أبو الفداء في كتابه التأريخي القيِّم (٣ - ١٣٩) كما أنَّ اسمها نفسه يدلُّ على أنَّ الباني ابن عمر لا عمر. أمّا قول بعض المؤرِّخين: إنَّها منسوبة إلى عمر بن حسن التَّغلبي، فناجم عن التَّعصُّب لا عن حقيقة تأريخية].

(٨١) ابن خلكان: هو أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن إبراهيم من كبار العلماء ومشاهير المؤرِّخين ولد بمدينة أربيل سنة ٦٠٨ هـ وتوفِّي بدمشق سنة ٦٧١ هـ. وله مؤلَّفات قيِّمة أشهرها تأريخه الشَّهير (وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان) [محمد علي عوني] أمّا (خلكان) فقرية كبيرة

ولما كملت له -أي لابن الأثير- الآلات، قصد جناب الملك النَّاصر صلاح الدِّين[٨٢]، وكان يومئذ شاباً، فاستوزره ولده الملك الأفضل، وحسنت حاله عنده. ولما توفِّي السلطان صلاح الدِّين، واستقلَّ ولده المذكور بمملكة دمشق. اشتغل ابن الأثير بالوزارة وردَّت إليه امور الناس، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه. ولمّا أخذت دمشق من الملك الأفضل، وكان ابن الأثير قد أساء العشرة مع أهلها، همُّوا بقتله، فأخفاه الحاجب محاسن في صندوق مقفل عليه. وأخذه معه على ظهر جمل إلى مصر حيث أصبح نائباً لوزارة أخيه الملك المنصور. ولما أخذ الملك العادل الدِّيار المصريَّة، خرج ابن الأثير منها مستتراً، وله في كيفيَّة خروجه رسالة طويلة شرح فيها حاله. ولمّا أُستقرَّ الملك الأفضل، غاب عن مخدومه الملك الأفضل. ثمَّ بعد ذلك اتَّصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب، فلم يطل مقامه عنده وخرج مغاضباً، وعاد إلى الموصل، فلم يستقم حاله، فقصد إربل، فلم يستقم حاله، فسافر إلى سنجار، ثم عاد إلى الموصل، واتَّخذها دار إقامته[٨٣] إلى أن توفِّي. وله من التَّصانيف الدَّالة على غزارة فضله، كتابه (المثل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر)[٨٤]، وهو في مجلَّدين، جمع فيه فأوعب، ولم يترك شيئاً يتعلَّق بفنِّ الكتابة إلاّ ذكره. وكتاب (الوشي المرقوم في حلِّ المنظوم) وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة. وكتاب (المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء)[٨٥] وهو أيضاً نهاية في بابه...»

وقد وافته المنون سنة سبع وثلاثين وست مئة (١٢٤٠م)[٨٦]. كان أصغر سناً من أخويه: عزَّالدِّين علي ومجدالدِّين أبي السعادات.

ضمن منطقة كويسنجق بوادي خلكان.

(٨٢) كان ذلك عام ٥٨٧هـ- ١١٩١م.

(٨٣) وذلك عام ٦١٨هـ- ١٢٢١م حيث أصبح منشئاً لدى صاحبها نورالدِّين محمود.

(٨٤) المثل السَّائر: هو كتاب المثل السَّائر في أدب الكاتب والشاعر لمؤلِّفه الشَّهير ابن الأثير، ضياء الدِّين أبي الفتح نصر اللّه بن أبي الكرم الجزري، الأخ الثالث لمجد الدِّين مبارك المكنّى بأبي السَّعادات صاحب كتاب النِّهاية في غريب الأحاديث [محمد علي عوني].

(٨٥) وله عدا ذلك مؤلَّفات أخرى، منها مجموعة آثار الشُّعراء المتقدِّمين وديوان الرَّسائل.

(٨٦) يقال: كانت وفاته في طريقه إلى بغداد في أثناء ما كان موفداً من قبل صاحبه ناصر الدِّين محمود.

٧- الملك العادل[٨٧] بن نجم الدِّين أيوب

يقول اليافعي (٢٩/٤ - ٣١): «كان أخوه صلاح الدِّين يستشيره ويعتمد على رأيه لعقله ودهائه... وإنَّه كان ملكاً جليلاً طويل العمر، عميق الفكر، بعيد الغور، جمَّاعاً للمال، ذا حلم و سؤدد، وله نصيب من صوم وصلاة...».

تولّى على عهد سلطنة أخيه الحكم في بعض مدن الشَّام مثل عكَّا[٨٨] والكرك[٨٩] فنشر عليها لواء العدل. ولمّا توفِّي ابن أخيه الملك العزيز، استولى على مملكتي مصر والشام، وأرسل نجل الملك عزيز المدعو علياً والملقَّب بالمنصور إلى مدينة الرُّوها = الرَّها[٩٠] ووضع زمام إدارة تلك البلاد في قبضة ابنه الملك الكامل، وفوَّض حكومة دمشق إلى ابنه الآخر المدعو الملك المعظَّم، وأسند حكومة الجزيرة إلى ابنه الآخر المدعو الأشرف، كما أنعم بإيالة أخلاط[٩١] على ابنه الرَّابع الملك الأوحد أيوب. ثم أقام في مصر هادىء البال، هانىء الحال، رفيع اللواء. ولمّا حلَّ شهر رجب

---

(٨٧) هو الملك العادل سيف الدِّين أبو بكر محمد. اختلف المؤرِّخون في تعيين تأريخ ولادته: فمنهم من قال: إنَّه ولد سنة ٥٢٨هـ- ١١٤٣م ومنهم من قال: إنَّه ولد في شهر محرَّم الحرام سنة ٥٤٠هـ- ١١٤٥م كما اختلفوا في تعيين مسقط رأسه فقيل دمشق وقيل بعلبك.

(٨٨) عكّا: مدينة على ساحل البحر المتوسِّط، ولها قلعة قديمة حصينة، كان لها شأن عظيم في التأريخ في عهد الصَّليبيين وحملة الفرنسيِّين بقيادة نابليون وفي حروب إبراهيم باشا المصري ويكون لها أيضاً شأن أعظم حيث وردت في فضلها أحاديث كثيرة وبشارات عظيمة. منها الحديث المشهور «طوبي لمن رأى عكة» وحديث (عين البقر) وغيره مما يطول شرحه. وفي كتاب (اليواقيت والجواهر) (إنَّ وزراء المهدي سبعة ينزلون بمرج عكّا كلُّهم يتكلَّمون بالعربية... الخ) [محمد علي عوني][أقول إنَّ الأحاديث المرويَّة في فضل عكّا وعين البقر والمهدي ووزرائه كلَّها موضوعة مختلقة على النَّبيِّ صلّى اللّه عليه وسلمّ. راجع خاتمة سفر السَّعادة لصاحب القاموس والكتب المؤلّفة في الموضوعات المختلقة على النَّبي صلّى اللّه عليه وسلم].

(٨٩) الكرك: هي قلعة الكرك الحصينة الواقعة على وادي الكرك الَّذي يصبُّ في بحيرة لوط بشرقيِّ الأردن وبها قلاع وحصون متخلفة من عهد الصَّليبيين وغيرهم.

(٩٠) رها هي المدينة المشهورة الآن باسم أورفه واقعة بشرقي الفرات في شمالي الجزيرة على مسافة ١٩٠ كيلو متراً في مدينة دياربكر، وهي مدينة قديمة جداً بها طلول وآثار، يرجع تأريخها إلى عهد الكلدانيِّين.

(٩١) أخلاط: قلعة ومدينة قديمة حصينة بولاية بدليس على الشَّمال الغربي من بحيرة وان، لايزيد سكَّانها الآن عن أربعة آلاف نسمة.[محمد علي عوني].

من سنة ثمان وتسعين وخمس مئة (١٢٠١م). كان الملك المعزُّ إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدِّين أيوب الَّذي كان متسنماً عرش مملكة اليمن، وقد أطلق يد الغدر والظُّلم، وسلك سبيل العتوِّ والطُّغيان، ويدعي أنَّه يمتُّ بنسب إلى الأمويِّين[٩٢]، فقد قتل في زبيد[٩٣] على يد أمرائه الَّذين تآمروا عليه، وقام مقامه ابنه الملك النَّاصر[٩٤] وكان فتى لم يبلغ رشده بعد. هذا، وكان الفاضل أبو الغنائم مسلم بن محمود الشيرازي[٩٥] من الفضلاء الَّذين عاصروا الملك المعزَّ، وقد ألَّف كتابه (عجائب الأسفار وغرائب الأخبار) باسمه.

ولمّا حلَّت سنة تسع وست مئة (١١٩٩م) وافى الأجل الملك الأوحد أيوب بن الملك العادل حاكم أخلاط الَّذي كان جبّاراً عتياً منهمكاً في الظُّلم وسفك الدِّماء، فأسندت الحكومة إلى أخيه الملك الأشرف. ولمّا كانت سنة اثنتي عشرة وست مئة (١٢١٥م) أنعم الملك العادل على حفيده المسعود بن الملك الكامل بإيالة اليمن، وسيَّره إليها. فلمّا بلغ تخومها، تقدَّم إليه أعيانها ووجهاؤها مذعنين خاضعين له، وقد قاموا بمراسيم الاستقبال خير قيام، وأجلسوه على عرش السَّلطنة بحفاوة وتعظيم.

وفي سنة خمس عشرة وست مئة (١٢١٨م) توفِّي الملك العادل مخلِّفاً خمسة عشر ولداً، فاز من بينهم خمسة بتولِّي شؤون السَّلطنة، وهم الملك الكامل والملك المعظَّم والملك الأشرف والملك الصَّالح وشهاب الدِّين غازي.

٨- الملك الأشرف موسى بن الملك العادل[٩٦]

في أيام سلطنة الملك العادل، كان الملك الأشرف موسى يتولّى شؤون الدَّولة في مدينة الرُّها -الرَّها- أورفة، وبعدما قام بإدارة أمورها ردحاً من الزَّمن، نيطت به

(٩٢) نسبة إلى أمية بن عبد شمس جدِّ معاوية بن أبي سفيان مؤسِّس الدَّولة الأموية الشَّهيرة.

(٩٣) زبيد: بلدة شهيرة باليمن في الجنوب الشَّرقي من ميناء الحديدة الشَّهيرة، تخرَّج منها علماء كثيرون.

(٩٤) الملك النَّصر: هو الملك المعزّ إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين...

(٩٥) أبو الغنائم مسلم بن محمود الشِّيرازي، صاحب كتاب (عجائب الأسفار وغرائب الأخبار)[محمد علي عوني].

(٩٦) هو الملك الأشرف مظفَّر الدِّين أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدِّين أبي بكر محمد بن الأمير نجم الدِّين أيوب.

أيالة حرّان[٩٧] ثمَّ لمّا توفّي الملك الأوحد أخذ يتبسَّط في نفوذه، فوسَّع مملكته حتى أخلاط. وفي سنة خمس وعشرين وست مئة (١٢٢٨م) لقي الملك المعظَّم شرف الدِّين عيسى - الَّذي كان متولِّياً السَّلطنة في دمشق - حتفه، فحلَّ نجله الملك النَّاصر داود محلَّه.

ولمّا أقبلت سنة ست وعشرين ،ست مئة (١٢٢٩م)، سار الملك الكامل من مصر إلى دمشق مزمعاً احتلالها، فتأهَّب الملك الأشرف لمدِّ يد المعونة إليه ومساعدته، فأدّى ذلك بالملك النَّاصر إلى طلب الصُّلح، فبادلا رسلاً وسفراء، وتمخَّضت النَّتيجة عن إقناع الملك النَّاصر بتقلُّد زمام الإيالة في الكرك وشوبك[٩٨] ونابلس[٩٩]، وأن يتسلَّم الملك الأشرف عرش السَّلطنة في دمشق، وتترك كلٌّ من حرَّان والرُّوها - الرَّها والرِّقة[١٠٠] ورأس العين[١٠١] تحت سلطان الملك الكامل. ولمَّا تمَّ أمر الصُّلح، وحسم بينهما النِّزاع، عاد الملك الكامل أدراجه إلى مصر، وقدم الملك الأشرف دمشق، فشرَّفها بيمن مقدمه وتولّى شؤون سلطنتها، فانصرف نحو استمالة قلوب الشَّعب والجيش، ونشر لواء العدل والرَّحمة. وكان حليماً للغاية وربَّما فوق التَّصور. يضاف إلى ذلك أنَّه كرَّس جهده في نشر راية العدل والعناية بقطع دابر الظُّلم والفساد وقمع الطُّغيان. وكان مولعاً بمصاحبة الأخيار، وأهل الفضل والصلاح، وقد شمل العلماء والفضلاء بالإنعام والإحسان، وأنشأ في حكمه معهداً لدراسة الحديث، فوَّض التَّدريس فيه إلى الشَّيخ أبي عمرو بن الصَّلاح[١٠٢].

ولد الملك الأشرف هذا عام سبعين وخمس مئة (١١٧٩م)[١٠٣] وأنشبت المنيَّة

---

(٩٧) حرّان: بلدة قديمة بجنوبي الرَّها الشَّهيرة بأُورفه.[محمد علي عوني].

(٩٨) شوبك: اسم قلعة قديمة خربة بوادي موسى بين عمان والبحر الأحمر بشرق الأردن على الشمال الغربي من معان .

(٩٩) نابلس: مدينة شهيرة بفلسطين بشمالي القدس.

(١٠٠) الرِّقة: بلدة على نهر الفرات بين حلب ودير الزُّور بشمالي الجزيرة.

(١٠١) رأس العين: بلدة بشمالي الجزيرة بالجنوب الشَّرقي من مدينة أورفه الشَّهيرة.

(١٠٢) الشَّيخ أبو عمرو بن الصَّلاح: هو (أبو عمرو عثمان بن عبد الرَّحمن) الشَّهير بابن الصَّلاح من أعظم علماء الأكراد الشَّافعية. ولد بشهرزور سنة ٥٧٧ هـ- وتوفِّي سنة ٦٤٣ هـ. وله مؤلَّفات قيِّمة في الحديث واللُّغة والأدب [محمد علي عوني].

(١٠٣) في كتاب مشاهير الكرد وكردستان، ولد سنة ٥٧٨هـ- ١١٨٢م.

أظفارها فيه سنة خمس وثلاثين وست مئة (١٢٢٧م) فاحتفل أركان دولته وأمراؤها بجنازته وقاموا بمراسيم التَّكفين والتَّجهيز ودفنوه في قلعة دمشق، إلاّ أنَّه بعد أن أخرج جثمانه من قبره ونقل إلى جدثه الأخير في الأبنية الَّتي كان شادها بنفسه في أحد جوانب مسجد بدمشق.

٩- الملك الكامل[١٠٤] محمد بن الملك العادل

كان صاحب التَّرجمة سلطاناً جليل القدر، رفيع الشَّأن، ناشراً لواء العدل والرَّحمة، يتردَّد جميل ذكره على الألسن، ويتحدَّث النَّاس عن لطافة طبعه ولين خلقه. كما كان لرأيه الصَّائب ودربته السياسية ودرايته العميقة شهرة عظيمة في المجتمعات. يضاف إلى ذلك أنَّه كان ناهجاً نهج السُّنة النَّبويَّة بقدم ثابت، ومحباً للملَّة الإسلامية من دون أن ينحرف أو يزعزعه تيّار. حتى إنَّ منتداه الملكي العامر كان في ليالي الجمع حافلاً بأهل العلم والفضل يحاورهم بنفسه ويناقشهم في مهمَّات المسائل. وقد بنى أيّام سلطنته في القاهرة المعزِّيَّة معهداً لدراسة الحديث في غاية الفسحة والسَّعة، كما بنى على ضريح الإمام الشافعيِّ رضي الله عنه قبَّة شاهقة للغاية.

كان الملك الكامل هذا يتولّى -على عهد والده- إدارة شؤون بلاد مصر، فلمّا قضى أبوه الأجل سنة خمس عشرة[١٠٥] وست مئة (١٢١٨م) تمكَّن خلال فترة قصيرة، من الإستيلاء على الحجاز واليمن والشَّام، فصار الخطباء يتلون الخطب بأُسمه الجليل ويهتفون بحياته ويمجِّدونه بالعبارات التَّالية: «صاحب مكَّة وعبيدها، واليمن وزبيدها، ومصر وصعيدها، والشَّام وصناديدها، والجزيرة ووليـــــدها،

---

(١٠٤) هو الملك الكامل أبو المعالي ناصر الدِّين محمد بن الملك العادل سيف الدِّين أبي بكر محمد بن الأمير نجم الدِّين أيوّب. ولد في شهر ربيع الأول لسنة ٥٧٦هـ- ١١٨٠م واشترك في محاربة أهل الصَّليب، فكان على قدم الجرأة والبسالة. حتى إنَّ ريكاردوس ملك الإنجليز منحه لقب شفاليه (Chivalery).

(١٠٥) هكذا في النُّسخة المطبوعة بروسيا وأمّا في نسختين خطّيتين فخمس وست مئة [م. علي عوني].

سلطان القبلتين وربُّ العلامتين [١٠٦](!!) وخادم الحرمين الشَّريفين ناصر الدِّين خليل [ولي][١٠٧] أمير المؤمنين».

ثمَّ إنَّه جاءته الوفاة يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر رجب من سنة خمس وثلاثين وست مئة (٨ مارس ١٢٣٨م) في قلعة دمشق. وقد ناهز الأربعين سنة من العمر.

(١٠٦) هكذا في الأصل الفارسي، ومن البديهي أنَّه خطأ مطبعي، [المترجم].

(١٠٧) هكذا في النُّسخة المطبوعة. وفي النُّسختين الخطِّيتين لم يوجد «ولى» [محمد علي عوني]. [أقول لايوجد نقطة «ولى» في النُّسخة الفارسية بخطِّ المؤلِّف المكتوب سنة ١٠٠٥ميلادية والموجودة في لندن بمكتبة بودليان أوكسفورد].

كلمة في البحث عن وفيات سلاطين مصر والشام واليمن

قال اليافعي (٣: ٦٣ - ٦٤): «وفيها - أي في سنة ست وعشرين وست مئة (١٢٢٩م) - توفِّي الملك المسعود بن الكامل[١] بمكَّة المشرَّفة، وكان قد سيَّره جدُّه الملك العادل إلى اليمن، فملكها، وبلاد الحجاز مضافة إليها. ولمّا وافاه الأجل، وصَّى أن لا يجهَّز بشيء من ماله بعد مماته، إنَّما يسلَّم إلى الشَّيخ صديق[٢] ليجِّهزه عنده بما يرى - وكان من كبار الصَّالحين من أكراد أربل مجاوراً بمكَّة. ولمّا مات الملك المسعود، تولَّى تجهيز جثمانه وكفَّنه في إزار كان قد أحرم فيه بالحجِّ والعمرة سنين عديدة، وجهَّزه تجهيز الفقراء. وكان قد أوصى أن لا يبنى على قبره، بل يدفن بين القبور، ويكتب على قبره: «هذا قبر الفقير إلى رحمة اللّه تعالى يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب» ففعل ذلك.

ولما بلغ نبأ وفاته مصر، استولى على الملك الكامل الهمَّ وغمره الأسى، فأقام له حفلة عزاء فخمة.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وست مئة (١٢٣٥م) وافى الأجل قائد جيش الملك الكامل المسمَّى (صواب خادم) وكان مثالاً للبطولة والشَّجاعة، وأعقبه زهاء مئة مملوك، فاز بعضهم أخيراً بتسلُّم كرسيِّ الإمارة، وتولّي المناصب العالية.

وفي هذه السَّنة نفسها، توفِّي الملك الزَّاهر بن السُّلطان صلاح الدِّين يوسف الَّذي كان يكنَّى بأبى سليمان داود، ويتولَّى شؤون الدَّولة في قلعة بيره[٣]، فقام بعده ابن أخيه الملك العزيز بن الملك الظَّاهر مقامه، في تولِّي شؤون القلعة المذكورة.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وست مئة (١٢٣٦م) ارتحل الملك المحسن بن السُّلطان صلاح الدِّين إلى جوار ربِّه، وكان عالماً ضليعاً بالحديث وسائر العلوم العقليَّة

---

(١) هو الملك المسعود صلاح الدِّين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدِّين أبي بكر محمد بن الأمير نجم الدِّين أيوّب قاد سنة اثنتي عشرة وست مئة (١٢١٥م) بأمر من جَّده جيشاً لجأ إلى اليمن وأحتلَّها.

(٢) هو الشَّيخ صديق بن بدر الأربيلي، كان يسكن مكَّة المكرَّمة.

(٣) قلعة بيره: هي قلعة بيره جگ الواقعة على الجانب الشَّرقي لنهر الفرات بغربي مدينة أورفه [محمد علي عوني].

والنَّقلية، كما كان متواضعاً زاهداً ناسكاً، وفي سنة أربع وثلاثين وست مئة (١٢٣٦م) أدركت المنون (الملك غياث الدِّين محمداً بن الملك الظَّاهر بن صلاح الدِّين يوسف في حلب، وكان قد تسلَّم كرسي السَّلطنة بعد وفاة أبيه الملك الظَّاهر في الرابعة من عمره).

وفي سنة خمس وثلاثين وست مئة (١٢٣٨م) توفِّي الملك الأشرف في دمشق[٤] فقام مقامه في الحكم أخوه الملك الصَّالح إسماعيل، فما كان من الملك الكامل إلاّ أن سار إليه بجيوش جرَّارة إلى دمشق، فتحصَّن إسماعيل في المدينة، وحاصره الملك الكامل بها. وأخيراً رضي الطَّرفان بالصُّلح. ثمَّ بعد أن تمتَّع الملك الكامل بالحكم في دمشق زهاء شهرين ، - كما أوضحنا ذلك سابقاً - لازم فيهما الفراش مريضاً ارتحل إثر ذلك إلى دار الآخرة . فأخفي أمر وفاته عن النَّاس مدة يومين. فلمّا جاء اليوم الثّالث وكان نهار الجمعة: ولم يكن قد ارتقى الخطيب المنبر بعد، نهض شخص فنادى في الناس: «اللهم ارحم على[٥] الملك الكامل وخلِّد ظلال سلطنة الملك العادل». فأقلق سماع هذا الكلام الحاضرين وأحزنهم، فضجُّوا وبكوه. ثم ارتأى أمراء الدَّولة وأركانها أن من المصلحة تولية ابن أخيه مظفَّر الدِّين يونس الملقَّب بالملك الجواد على حكومة دمشق بالنِّيابة عن ابنه الملك العادل. وبعدئذ أخذوا يعدُّون له مدفناً في جوار المسجد الجامع، وهكذا نقلوا جثته من القلعة إلى مثواه الأخير.

الخاتمة في ذكر بقية الملوك من هذه الأسرة وبيان دوال دولتهم

لقد حدثنا (اليافعي ي ٩٢/٤) فيما يتعلَّق بوفاة الملك الكامل وقيام ابنه مقامه وما جرى له بقوله: «أقام ولده الملك العادل إلى سنة سبع وثلاثين - أي بعد الست مئة الهجرية -(١٢٤٠م)ثم قبض عليه أمراء دولته، وطلبوا أخاه الملك الصَّالح أيوب، فجاءهم ومعه الملك النَّاصر صاحب الكرك و دخلا القاهرة، وأدخل الملك العادل في محفُّة حوله جماعة كثيرة من الأجناد يحفظونه، وحمله إلى القلعة، واعتقله بها وبسط العدل في الرَّعيَّة، وأحسن إلى النّاس وأخرج الصَّدقات، واصلح

(٤) سبقت هذه الفقرة ترجمة حياته فلم تبق حاجة إلى ذكرها هنا، إلاّ أنَّه يراد بها التَّوطئة لما بعدها.
(٥) هكذا بالأصل، ولا حاجة إلى تعديته بحرف الجر «على»، فإنَّ (أرحم) فعل يتعدّى بنفسه.

ما تهدم من المساجد وأقام في المملكة إلى أن توفّي...».

ولمّا استتبَّ له أمر الملك في مصر؛ وفرغ باله ممَّن ينافسه، قاد إلى دمشق جيشاً خلع به الملك الجواد عن حكومتها، وأنعم عليه بإمارة الإسكندرية. ثُم امتطى صهوة جواده، وأنفذ أمره: «إلى أن تتسنىَّ تهيئة رجال الملك الجواد، فليمش خطوات في ركابي!». غير أنه، بعدما رضي لنفسه هذه المعاملة السخيفة، ندم، ويمَّم وجهه شطر الغور، ودعا إليه عمَّه إسماعيل الملقب بالملك الصَّالح الحاكم على بعلبك، غير أنَّه لم يلبِّه، ولم يذعن لأمره، بل استنجد بالأمير مجاهد[٦] حاكم حمص[٧]، ففاز منه بمدد واتَّجه به من طريق غير مألوف إلى دمشق، وتمكَّن على حين غرَّة من اقتحامها والدُّخول فيها، فما كان من أمراء الملك الصَّالح[٨] وملازميه، حينما بلغهم هذا النبأ الخطير، إلاّ أن تركوه وحيداً، والتحقوا بالملك الصَّالح[٩] القادم؛ وأذعنوا له. ثمَّ إنَّ لفيفاً من جيش الملك النَّاصر[١٠] حاكم الكرك التقوا بالملك الموماً إليه، وقد بقي وحيداً، فقبضوا عليه وذهبوا به إلى ملكهم، فأودعه السِّجن في قلعة الكرك. فلمّا طرق هذا النبأ مسامع الملك العادل الَّذي خرج أيام غيبة أخيه من سجن القلعة، وتولّى مقاليد الملك في مصر أوفد إلى الملك الناصر رسولاً يعده بمئة دينار[١١] على أن يسلم إليه الملك الصَّالح، غير أنَّ الملك النَّاصر أبى أن ينصاع له، ورفض طلبه، وأخذ يمدُّ يد المبايعة إلى الملك الصَّالح،ويسير برفقته إلى مصر. ولم يبلغ الملك الصَّالح حدود تلك البلاد حتى انحازت إليه الأمراء الكامليَّة ورغبوا في توليته عليهم وقبضوا على الملك العادل مرة أخرى مودعين إياه في السِّجن في القلعة وراحوا يستقبلون الملك الصَّالح ويأتون به إلى عاصمة مصر بحفاوة بالغة. وهكذا استتب له الملك، ثمَّ ودَّعه الملك الناصر وعاد أدراجه إلى الكرك.

وفي سنة ثمان وثلاثين وست مئة(١٢٤٠م) أخذ إسماعيل ملك دمشق يترك

---

(٦) هو مجاهد شيركو بن محمد بن أسد الدِّين شيركو بن شادي.

(٧) حمص: بلدة تقع بين حماه وطرابلس الشَّام على مقربة من حصن الأكراد.

(٨) يعني به الملك الصَّالح أيوْب الَّذي أغار على بلاد الشَّام من مصر.

(٩) يريد به الملك الصَّالح إسماعيل حاكم بعلبك.

(١٠) هو الملك النَّاصر داود بن الملك المعظَّم شرف الدِّين عيسى.

(١١) لعلَّ في الجملة سقطاً، وأصله مئة ألف دينار.

قلعة شقيف للإفرنج لأسباب دعته إلى ذلك، فقام عزالدين بن عبدالسلام[١٢] وأبو عمرو بن الحاجب[١٣] وكانا من علماء الشَّام الأعاظم، ينكران عليه عمله المخزي أشد الإنكار، فغضب على عزِّ الدِّين عبدالسَّلام فعزله عن منصبه (خطابة دمشق) وزجَّه مع صاحبه أبي عمرو بن الحاجب في غياهب السِّجن، وفي سنة إحدى وأربعين وست مئة (١٢٤٣م) توفِّي الملك الجواد الَّذي تقلَّد حكم دمشق بعد الملك الكامل بضعة أيام[١٤].

وفي سنة خمس وأربعين وست مئة(١٢٤٧م) انتهت حياة الملك العادل بن الملك الكامل في السِّجن[١٥] معقباً ولده عمر الذي عرف فيما بعد بلقب الملك المغيث،

---

(١٢) هو عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام الدِّمشقي الملقَّب بسلطان العلماء من تلامذة الآمدي، كان خطيب دمشق جرى له هذا الامر، فانهزم إلى مصر حيث أكرمه سلطانها، وولاه خطابة الجامع العتيق والقضاء بها، واستقرَّ مدرساً بالمدرسة الصَّالحيَّة بالقاهرة إلى أن توفِّي في عاشر جمادى الأولى من سنة ستين وست مئة (١٢٦١م).

(١٣) هو الشَّيخ جمال الدِّين أبو عمرو عثمان بن عمرو بن أبي بكر بن يونس الكردي الشَّهرزوري من مشاهير النُّحاة. ولد في أرستا من سعيد مصر سنة ٥٧٠هـ- ١١٧٤م، وكان أبوه قبل الوفود إلى مصر حاجباً في باب الأمير عزَّ الدِّين الصَّلاحي الكردي ببلد (السند - زاخو) في جانب العماديَّة، ولذلك كنِّي بابن الحاجب ثم بعد أن قرأ وتخرَّج عالماً، ولي التَّدريس بالمدرسة الفاضليَّة بالقاهرة. ثمَّ كلِّف قبول منصب القضاء فرفضه وهرب إلى الشَّام، وكان آنئذ شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب مالك فولِّي فيها التَّدريس بجامع دمشق. وقد ألَّف مؤلَّفات قيِّمة، منها: رسالة مختصرة في الانتصار لمذهبه، والشافية في علم الصَّرف، والكافية في علم النحو، والشَّرحان اللذان كتبهما عليهما، وشرح المفصل، ومختصر المنتهى في أصول الفقه، وتأليف آخر. ثمَّ انتقل إلى الإسكندرية حيث توفِّي بها نهار الخميس السَّادس والعشرين من شوال من سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م)، فدفن خارج باب البحر بتربة الشَّيخ صالح بن أبي شامة، وعمره ست وسبعون سنة.

(١٤) وفي سنة أربع وأربعين وست مئة هـ(١٣٤٦م) توفِّي إبراهيم شيركوه بن محمد أسد الدِّين شيركوه الأيّوبي الملقَّب بالملك المنصور- وكان صاحب حمص وكان شجاعاً متواضعاً رغم صغر سنه، فمرض بالسل وتوجَّه قاصداً مصر لخدمة الملك صالح أيّوب، فتوفِّي بدمشق وحمل في تابوت إلى حمص فدفن فيها، وكانت ولادته سنة ست مئة وأربع وعشرين (١٣٢٦م) إي إنَّه مات في العشرين من عمره.

(١٥) في أخبار الدُّول (ص١٩٦): «أنَّ الملك الصَّالح نجم الدّين أيّوب هذا، قصد السَّفر إلى الشَّام سنة ٦٤٤هـ(١٢٤٦م)، وكان يخاف من غائلة أخيه الملك العادل، فصمَّم على إرساله إلى قلعة الشُّوبك، غير أنَّه امتنع عن الخروج، فأرسل جماعة من مماليكه فأطلقوه سراً، وأشاعوا موته».

وقد ألقي بعد وفاة أبيه في السِّجن في إحدى القلاع، فتمخَّضت هذه الحادثة عن وقوع معارك وحروب عدَّة بين الملك الصَّالح أيوب حاكم مصر والملك الصَّالح إسماعيل سلطان دمشق وبين الملك النَّاصر الَّذي كان يتولَّى شؤون الدَّولة في الكرك، وأسفرت النتيجة في أكثرها عن إخفاق إسماعيل واندحاره، إضافة إلى فشو قحط ووباء في مملكته ومقر سلطنته دمشق.

وفي منتصف شعبان من سنة سبع وأربعين وست مئة (١٢٤٩م) انتقل الملك الصَّالح أيوب إلى عالم الآخرة في مدينة المنصورة[١٦] فتمكَّن قطايا، وكان من مماليكه البارزين، مع بقيَّة أمراء، دولته من كتم أمر وفاته ودام إخفاء ذلك زهاء ثلاثة أشهر، وإذ أرسلوا في طلب ابنه الملك المعظَّم[١٧] من يأتي به، وكان يومئذ في بعض بلدان الشَّام، وأبقى الأمر على حاله حتى وصول الموماً إليه إلى القاهرة المعزِّيَّة. ثمَّ أميط اللثام عن حقيقة الأمر ،وضربت النُّقود باسمه ووشَّحت الخطب بذكر لقبه.

وفي سنة ثمان وأربعين وست مئة (١٢٥٠م) أزمع الإفرنج[١٨] الإغارة على مصر، فسار الملك المعظَّم للحيلولة دون ذلك، فالتقى الفريقان في المنصورة وتأجَّجت بينهما نار حرب ضروس أسفرت عن هبوب نسيم الفتح والظَّفر على فريق الملك المعظَّم والتجاء القسم الأعظم من جيش الإفرنج إلى جرِّ أذيال الهزيمة لتخليص النَّفس بعد أن أضحت سبعة آلاف نسمة منهم عرضة للسِّيف الصَّارم[١٩] وأسر ملكهم بالذات، وزجَّ في قلعة المنصورة مصفَّداً مسلسلاً. ثمَّ إنَّ الملك المعظَّم استولى عليه الغرور والطَّيش فأدَّى ذلك بمماليك أبيه إلى أن يثوروا عليه ويقبضُّوا عليه ويقتلوه وينصِّبوا عزَّالدِّين التركماني[٢٠] الَّذي كان من جملة المماليك أيضاً قائداً للجيش

---

(١٦) مدينة من أعمال مصر.

(١٧) يعني بـ الملك المعظَّم توران شاه.

(١٨) كان يقود هذه الحملة (سانت لويس – سنلوئي) السَّابع أمبراطور (فرنسة).

(١٩) كانت خسارة الصَّليبين في هذه الحملة تقدَّر بأكثر من مئة ألف نسمة.

(٢٠) هو الملك المعزُّ عزُّالدِّين آبيك «آغابگ» زوج شجرة الدُّر الَّذي نادى بنفسه سلطاناً على مصر في عام ٦٥٣هـ(١٢٥٥م). واستقلَّ بالملك زهاء سبع سنين، واشتهرت طبقته بعده بالملوك المماليك.

واتجهوا من المنصورة إلى القاهرة المعزِّيَّة. أما ملك الإفرنج فقد التمس أن يفكَّ أسره بفدية قدرها خمس مئة ألف دينار[٢١] وأن يتخلى عن دمياط[٢٢] للمسلمين، فأطلق.

وخلال هذه الأزمة قاد الملك النَّاصر حاكم الكرك[٢٣] جيشاً إلى دمشق فاحتلها وحشد جيش الشَّام واتَّجه به إلى مصر، فبرز إليه أمراؤها ولم يبلغ الفريقان المحلَّ المسمَّى العباسيَّة[٢٤] حتى اشتبكا فدارت بينهما أرحاء حرب عنيفة أدَّت إلى إخفاق جيش مصر وانسحابه القهقرى وإلى توغُّل جيش الشَّام في القاهرة المعزِّيَّة فتليت الخطب بأسم الملك النَّاصر. غير أن عزَّالدِّين وقطايا تمكَّنا مع ثلاث مئة نفر من خيرة فرسان المماليك الصَّالحية من الهزيمة إلى الشَّام، فالتقوا في طريقهم بجمع من جنود الملك النَّاصر كانوا يحملون خزينته وطبوله ورايته الملكيِّة فحملوا عليهم وأعملوا فيهم سيوفهم حتى هزموهم جميعاً، وأسروا شمس الدِّين لؤلؤ نائب الملك النَّاصر فذبحوه ذبح الشَّاة من منحره، وحطَّموا الطُّبول ومزَّقوا الرَّاية واغتنموا الخزينة ففرَّقوها أيدي سباً. ثم أطلقوا يدهم في السَّلب والنَّهب حتى بلغوا غزَّة[٢٥] وقبضوا على نجل صلاح الدِّين يوسف[٢٦] والملك الأشرف موسى بن العادل(؟)[٢٧] حاكم حمص والملك الصالح إسماعيل بن عادل - الَّذي مرَّت نبذة من ترجمة حياته - مع لفيف من الأمراء، فأسروهم جميعاً، وأبادوهم عن بكرة أبيهم. فلمَّا بلغت هذه

---

(٢١) يقول (السَّيد محمد أمين زكي بك): «إنَّ (سنلوئي) لمَّا وقع أسيراً، فكَّ نفسه بفدية قدرها ثمان مئة ألف دينار، مع التَّعهد بالتَّخلي عن (دمياط) للمسلمين».

(٢٢) مدينة من أعمال مصر، كانت على شاطىء النيل.

(٢٣) الَّذي أورده السَّيد محمد أمين زكي بك هو الملك الناصر يوسف حاكم حلب.

(٢٤) هي المدينة الَّتي بنتها (عباسة بنت أحمد بن طولون) في أرض مصر.

(٢٥) بلدة في الشَّام ومصر على طرف الرِّمال، بها ولد الإمام الشَّافعي (رضي اللّه عنه).

(٢٦) لم نعرف مَن من أنجاله مني بهذه الحادثة المؤلمة !!.

(٢٧) هذا الرَّمز الاستفهامي من الرُّموز الَّتي وضعها العلامة (ف.فليامينوف زرنوف)، ولعلَّه أشار به إلى الخطأ في ضبط الإسم المدَّون أعلاه، فإنَّه ليس موسى بن العادل لأنَّ المذكور لم يحكم حمص قط إنما تقلَّد شؤون السَّلطة في مصر، وذلك بعد هذا الحين بزمن. [والصَّواب هو الملك الأشرف مظفَّر الدِّين موسى بن المنصور الَّذي تولّى السَّلطنة في حمص، بين (٦٤٤ - ٦٦١ هـ) (١٢٤٥ - ١٢٦٢م)].

الأنباء المؤلمة إلى مسامع الملك النَّاصر لم يبق له مجال المكوث في مصر، وكان لابد أن يطلِّق عروس الملك طلاقاً بائنا لايقبل الرَّجعة. وهكذا غادرها إلى بعض أنحاء ولاية الشام في غاية السُّرعة[٢٨]. وكان وقوع هذه الحوادث سنة ثمان وأربعين وست مئة (١٢٥٠م).

وفي سنة تسع وأربعين وست مئة(١٢٥١م) عني طواشي - الَّذي كان والياً بأمر الملك النَّاصر على الكرك بإنقاذ الملك المغيث عمر بن الملك العادل بن الملك الكامل من السِّجن ومبايعته السَّلطنة جاحداً نعمة مولاه الملك النَّاصر ومنكراً حقوقه.

ولمّا حلَّ عام واحد وخمسين وست مئة (١٢٥٣م) توفِّي الملك صلاح الدِّين بن الملك الظَّاهر بن الملك صلاح الدِّين بن نجم الدِّين أيوب. وفي السَّنة الثانية والخمسين وست مئة[٢٩] (١٢٥٤م) قام أمراء مصر وأعيانها بتقليد عزَّالدِّين التركماني- الَّذي كان من مماليك الملك الصَّالح أيوب زمام السَّلطنة وتلقيبه بالملك المُعزِّ. هذا ومنذ ذلك اليوم انتقلت سلطنة مصر إلى المماليك وتقلَّص عنها نفوذ الأسرة الأيوبية شيئاً فشيئاً.

ولمّا كان بعض مماليك الأيّوبيِّين الَّذين تولَّوا الحكم بعد انقراض سادتهم في مصر من معاصري السَّلاطين العثمانييِّن ضربنا عن ذكرهم الآن صفحاً لنورد ذكرهم ضمن قضاياهم في الخاتمة بحسب ترتيب السِّنين (بتوفيق من ربِّ العالمين).

أما الملك النَّصر دوود بن الملك المعظم بن الملك العادل الذي كان يوجس من عزالدِّين حنيفة، ويقضي كل يوم في منزل وجلاً منه، فقد أدركته المنون في أحد شهور سنة ست وخمسين وست مئة (١٢٩٥م)، وكان (رحمه اللّه)ذا طبع سليم، وعقل مستقيم، وذهن ثاقب، وفكر صائب، قضى حيناً من الدَّهر مشتغلاً بتحصيل العلوم، وتلقَّى الحديث النبويَّ عن المؤيد الطَّوسيَّ سماعاً. يضاف إلى ذلك أنَّه كان يقرض أشعاراً في غاية من الروعة والإبداع ناظماً فيها بفكره الألماسي اللامع جواهر المعاني.

---

(٢٨) في تاريخ الدُّول والإمارات الكرديَّة، أنَّه عقد الصِّلح بينه وبين عزِّالدِّين. المذكور عام ٦٥٢هـ(١٢٥٤م) بفضل تدخُّل خليفة بغداد.

(٢٩) في المصدر المذكور سنة ثلاث وخمسين وست مئة.

وأما الملك المغيث عمر بن العادل، فإنَّه بعد أن قضى بضع سنين في الكرك حاكماً، حمل عليه سنة اثنتين وستين وست مئة (١٢٦٣م) من مصر، جيش يروم احتلال بلده، ونزع مملكته منه. فتحصَّن منه في المدينة وأخذ يدافع عن نفسه، إلاّ أنَّ أمد الانحصار قد طال، فاضطرَّ إلى التسليم وطلب الأمان. ثم قصد سلطان مصر في غاية البدار، لكنَّه اغتالته يد أثيمة في الخفاء، وبه انقرضت أيام سلطنة حفدة نجم الدِّين أيوب . ولم يتيسَّر لهم بعد ذلك تولّي الحكم. وهكذا طوى الملك القدير (عظم شأنه) بساط حكومة هذه الطبقة. (يفعل اللّه ما يشاء ويحكم مايريد[٣٠]).

(٣٠) يجمل بنا أن نذكر هنا جدولاً نبيِّن فيه أجل انهيار الأسرة الأيّوبيَّة في جميع الأقاليم الَّتي حكموها:

انقراض الأيوبيين في (حمص) (٦٠١هـ- ١٢٢٦م)
انقراض الأيوبيين في (اليمن) (٦٢٦هـ- ١٢٤٩م)
انقراض الأيوبيين في (ميافارقين = الجزيرة) (٦٥٧ هـ- ١٢٦٠م)
انقراض الأيوبيين في (دمشق) (٦٥٨هـ- ١٢٦٠م)
انقراض الأيوبيين في (حلب) (٦٥٨هـ- ١٢٦٠م)
انقراض الأيوبيين في (بعلبك) (٦٥٨هـ- ١٢٦٠م)
انقراض الأيوبيين في (الكرك) (٦٦٢هـ- ١٢٦٣م)
انقراض الأيوبيين في (حماه) (٧٤٢ هـ- ١٣٤١م)
انقراض الأيوبيين في (حصن كيفا) ؟؟